

أيسخولوس

حاملات القرابين

عن اليونانية القديمة

جمع وترجمة أمين سلامة



حاملات القرابين

عن اليونانية القديمة

تأليف
إسخيلوس

جمع وترجمة
أمين سلامة



Χοηφόροι

Αίσχϋλος

حاملات القرايين

إسخيلوس

الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦/١/٢٠١٧

يورك هاوس، شيبث ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إن مؤسسة هنداوي غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ولاء الشاهد

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٣٠٥٣ ٥

صدر أصل هذا الكتاب باللغة اليونانية في القرن الخامس قبل الميلاد.

صدرت هذه الترجمة عام ١٩٦٦.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٣.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.

جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ أمين سلامة.

المحتويات

٧

٩

٢٩

٦١

الإهداء

تقديم

حَامِلَاتُ الْقُرَابِينِ

يَوْمِنِيدِيسَ أَوْ الرَّحِيمَاتِ

الإهداء

نظم الأستاذ فهيم سوريال — مشكورًا — هاتين القصيدتين يرثي بهما شقيقي الحبيب
المرحوم الأستاذ الدكتور أنيس سلامة.
وإني إذ أهديهما إلى روحه الخالدة أسأل المولى أن يرحمه رحمةً واسعةً، وأن ينزله
من لدنه منزلة الأبرار.

دمعة على الحبيب

تودّعك القلوب من الصميم	فقيد الطب والخلق الكريم
فكيف الحال بالبيت الكريم	ينوح عليك من شجن غريب
فهل للركن بعدك من مقيم	هوى الركن الركين ومال صرح
وباهى الطب بالفطن العليم	قضيت شباب عمرك في جهاد
يحج إليه مغترف العلوم	وكنت بعلمك الفيّاض بحرًا
على روح أخف من النسيم	وكنت الطود إن عصفت رياح
وما أبهى الرزانة في وسيم	حببت مهابة لا كبرياء
كفى شرف الشهادة من غريم	لقد شهد الخصوم لعبقري
فصفحًا منك عن صمت اللئيم	نعاك ذوو الضمائر من رفاق
وموعدنا مع اليوم العظيم	سينصفك الذي خلق البرايا
سيبكيك الجديد مع القديم	أخي وحبيب عمري من قديم

بمناسبة مرور عام على وفاة فقيد الطب والإنسانية

مضى عام ودمعك لا يجفُّ على غالٍ ننوح ولا نكفُّ
قضاء الله ليس له مردُّ فسله اللطف إن أغناك لطفُ
أخ أدّى الرسالة في وفاء قليل الناس من أدوا فأوفوا
أخا الباكين في حزن رهيب تخف الراسيات ولا يخفُّ
بررت بهم على مر الليالي ورب أب مع الأيام يجفو
ترامى النعي فاحترقت قلوب عليك تجمعت وابتلَّ طرفُ
فلا صبح على خير تقضى ولا ليل يهادنهم فيصفو

* * *

حبيب القلب كنت له طبيباً إذا ما انتابه وهن وضعفُ
كشفتُ الداء في آلاف مرضى وعز لدائك المكنون كشفُ
قضيت ولم تقل لذويك حرفاً وكان يهزهم من فيك حرفُ

* * *

بنصف الدين عشت به تقياً ورحت وأنت معتصم أعفُ
أكاد أرى بعيني الغيب روحاً تزفُّ مع الملائك إذ تزفُّ
لئن فارقتنا فإلى رحاب لدى المولى وأنت عليه ضيفُ

تقديم

أيسخولوس

حياته ومؤلفاته

يحتل عصر أيسخولوس مكاناً بارزاً في المقدمة، في عصور تاريخ العالم التي تتميز بالطموح القومي والأعمال القومية المجيدة. ويزخر، في الوقت نفسه، بالأفكار الروحية المنعكسة في ذهن ذلك الشاعر الأستاذ؛ يحتل ذلك المكان جنباً إلى جنب مع شكسبير. فقد تجسّم خياله في شعر من أسمى نوع وُجد؛ في هيلاس Hellas في الجزء الأول من القرن الخامس، وفي إنجلترا في عصر الملكة إليزابيث. ولا يزال وحي ذلك الشعر ونموذجه ظاهرين في عصرنا الحاضر.

وقعت حياة ذلك الكاتب المسرحي الإغريقي في عصورٍ مليئةٍ بالاضطرابات الخارجية والداخلية، عصور العواطف الجياشة والمرح والعجب والأمل، عندما اكتشف المواطن الأثيني نفسه كفرد، لأول مرة. فلاحظ مظاهر الحياة بمتعة ذهنية، وباعتماد على النفس، وبروح عالية، وبنشاط جم مشغول بتنازع البقاء الحادّ، الشخصي والقومي، بأملٍ وثقةٍ في حسن الجزاء العادل، وبوعي دائم بمسئوليته إزاء الصالح العام. كان ذلك العصر عصر امتداد المعارف واتساعها، عصرًا شاهد أحداثاً برهنت على عزيمة أثينا وشجاعتها عندما طرحت عنها الجبين الذي كان لها في ظل الاستبداد، فطردت، في عصر هذا الشاعر، طاغية بيت بيزيستراتوس Peisistratus، وعدّلت الدستور في عهد كلايستينيس Cleisthenes، حتى ضمنت في ذلك الوقت تأييد جميع مواطنيها، وكونت نظاماً حكومياً يضمن للدولة

طريقًا حراً لزيادة التقدم نحو الديمقراطية الحقة. كما اكتسبت تلك المدينة في حياته قوة مادية تؤهلها للقيام بدور قيادي كقوة دولية في انتصار بلاد الإغريق على البربرية الاستبدادية التي هددتها لمدة جيل بالقضاء على كيانها السياسي. أبدى مواطنو ذلك الشاعر، في هذا الانتصار، بطولاً في التضحية بالنفس والجرأة القاهرة، ولما زال الخطر الفارسي وانمحي تماماً كلُّ احتمال لعودة الاستبداد الجائر للطغيان، شهد الجزء الأخير من حياة شاعرنا إعادة بناء أثينا التي هدم الغزاةُ معابدها ومنازلها، كما شهد الجزء الأخير منها بداية تلك التيارات القوية المنضاربة للحياة السياسية القديمة والجديدة، عندما أخذت الديمقراطية تشق طريقها الظافر بقيادة بركليس Pericles. كانت أثينا، في شباب أيسخولوس، قسمًا سياسيًا صغيرًا يحكمه طاغية جامح الإرادة. وعند موته، كان أهل أثينا يحاربون في آسيا وفي مصر وفي قبرص، في آن واحد؛ ويسيطر أسطولهم على بحر إيجه، وكانت أثينا تسير بخطى ثابتة نحو تكوين إمبراطورية، تكسبها وتحافظ عليها بقوتها البحرية.

كان أيسخولوس ممثل الأدب الوحيد في ذلك العصر الزاخر بالأحداث البالغة الأهمية لكلِّ من حكومة تلك المدينة والعالم الأكبر؛ ذلك العصر الذي تمثله في الحرب والسياسة شخصيات عملاقة، ميلتياديس Miltiades وثيرمستوكليس Themistocles وأريستيديس Aristides وكيمون Cimon، كما يمثله في فن التصوير والنحت، وفن الخزف بولوجنوتوس Polygnotus ومورون Myron وبروجوس Brygus. وقد استجاب كلُّ من هؤلاء إلى الحافز القوي الذي قدمته له بيئته. ولم يكن أيسخولوس مجرد متفرد، وإنما أسهم في حوافز عصره وحركته الجبارة، وساعد في جعل وقته يختلف تمام الاختلاف عن أوقات معاصريه سيمونيديس Simonides وباكخوليديس Bacchylides. وكما يصور هوميروس النزاع في عصر سابق، بفنٍّ يميِّز بالخيال الجَمِّ والمشاعر التلقائية، كذلك يصور أيسخولوس العصر العظيم الثاني للفكر الإغريقي، وهو يقدم روح الحياة الأتيكية القومية الأكثر تفكيرًا، كما جعلتها الحرب التي نشبت للدفاع عن استقلالها.

أيقظت الحربُ المكتسبة بالثورة الشعبَ الأثيني، ونبهته إلى الوعي الذاتي، وحثته على إقامة الحكم الذاتي في ظل الحرية التي يحميها قانون شرعه شعب يحكم نفسه. وقد اكتسب كلُّ من العدالة والنظام الإلهي للعالم أهميةً لم تكن معروفةً لشعبٍ يشغل سوادهُ بالزراعة، انمحت وقتذاك حواجز ذلك العالم الإقليمي الأكثر ضيقًا. واتحدت كلمة الناس إذ رأوا الخطر الخارجي، وأحسوا بدافعٍ يدفعهم إلى الوحدة الروحية التي لم تكن

معروفةً من قبل، ويشعور قوي بالوحدة سرعان ما ذاب بفعل النفوذ المركزي للعمل السياسي الإغريقي. أثر التحول إلى العالم الخارجي في كلٍّ من السياسة والمجتمع، وهزيمة الغطرسة البربرية، والاتحاد السريع للمدافعين عن حرية بلاد الإغريق؛ أثرت كل هذه العوامل على أيسخولوس، فساقته إلى فكرة نشأة البشرية وتطورها، ونشأة الآلهة أنفسهم وتحولهم من الطغيان إلى الحرية، ومن القتال إلى السلم، ومن الشقاق والخصام إلى المحبة والوئام. فقلَّت الاضطرابات والفوضى والبربرية، وحلت محلها المساواة التي هي أساس القانون والنظام.

لم يكن تطوُّر أئينا القديمة هذا بأسرع من تطور الفن التراجيدي على يد مؤسسه الحقيقي ... فقد أبدى فن الأدب في هذا العصر تطوُّراً سريعاً لا يعادله أي تطوُّر في التأريخ، شأنه في ذلك شأن المعمار والنحت.

عرض أيسخولوس أولى مسرحياته في سنة ٤٩٩ ق.م. ولم تمض غير ثلاثين سنة فحسب على إقامة بيزيستراتوس، الذي أخضع الطغيان بحمايته للفنون، مباريات سنوية في التراجيديا، في عيد ديونيسيا Dionysia المدينة. فشهد ثيسبيس Thespis، في هذه المباراة، شاعرنا التراجيدي الأول، الذي عُرضت مسرحياته في الاحتفالات القروية ونالت الجائزة. نال أيسخولوس أول فوز له في سنة ٤٨٤ ق.م. أي قبل موقعة سالاميس Salamis بأربعة أعوام. ومنذ ذلك التاريخ حتى وفاته في سنة ٤٥٦ ق.م. كان هو الشاعر التراجيدي الأول لعصره.

بوسعنا أن نخمّن، نظراً لغياب الأدلة المادية، على أن هذا الفن، كما تلقّاه ذلك الشاعر، كان يتألّف من أغاني الكوروس فحسب، يتخللها بعض السرد مع حوار قصير بين قائد الكوروس وشخص يمثله ممثل واحد أدخله نبوغ ثيسبيس. لم تكن هناك خطة بالمعنى الذي عُرف فيما بعد، ولا تقدم حقيقي في الفعل الدرامي، ولا تصوير للشخصيات. وكان الفن، كما تركه، قد بلغ ذروة إمكانيات التعبير الأصلي. أخذ أيسخولوس أساطيره ومادة قصصه من هوميروس وهسيود Hesiod ومن الشعراء الدوريين، ومن الأشعار الشجوية والرجز والشعر الغنائي، ولا سيما شعر ستيسيخوروس Stesichorus. ومن كتب الحكم القديمة، ومن كُتّاب النثر القدامى والمعاصرين، الذين تناولوا الأساطير المورثة في كتاباتهم؛ أخذها أيسخولوس ونفخ فيها نفساً من روحه، ووجد فيها تعبيراً لأفكاره الشخصية عن الأمور البشرية والإلهية. ويرجع الفضل في تحويل أشخاص عصر البطولة إلى شخصيات درامية زاخرة بالإرادة والعاطفة، تعمل بواعثها السهلة الفهم على

حثَّ العمل الدرامي ودفعه قدمًا إلى الأمام، إنها شخصيات، حتى ولو كانت فردية، فإنها لا تقل معاصرة لكل عصر؛ لأنها نموذجية في بشريتها العالمية، نقول يرجع الفضل في هذا إلى خيال ذلك الشاعر الخصب، وإحساساته الأخلاقية والدينية، وفكره الباحث المتأمل، أكثر مما يرجع إلى عقله وذكائه. وإنَّ مقدرته على الإلمام بأفق أوسع، وتصوير أشخاص عائلات بأسرها أو شعوب بأكملها، لأعظم من قدرته على جعل أشخاصه الفرادى يتسمون بطابع الفردية. وإنَّ متعته في الفرد لأقل من متعته في الأسرة أو في الجماعة القومية التي ينتمي الفرد إلى حظوظها. لا تجد موهبته الشعرية بصفته مواطنًا أثينيًّا ذا صلة بالحياة في عصر من التطورات السياسية والاجتماعية المحمسة في وقت كان اتجاه إحساس الإنسان فيه إلى حريته الروحية أقل من اتجاهه إلى حريته السياسية، لا تجد تلك الموهبة تعبيرًا إلا في فن — رغم حداثة خلقه — أرسل صوته مدويًا أكثر من سائر الفنون الأخرى، يعبر عن غريزة عصره وقومه. كان ذلك الفن وحده هو الذي يملك القدرة على تصوير الروح الجماعية لحياة شعب حر لم يقدّم بدور مضاد في المجتمع الذي يصوره شاعر البطولة العظيم، الذي لا يزال قصصه عن الحرب والمغامرة يسيطر على إعجاب مجتمعات واسعة في وقت منافسة قصائد الشعراء المتجولين. وإذا كانت الأساطير القديمة غامضةً غموضًا فظيماً منذ أول نشأتها في وقت الشفق، فقد هذبها هذا الشاعر في ضوء الروح الصافية للعقيدة المبنية على العقل والصلاح ... اكتشف أيسخولوس وجود مادة أخلاقية ودينية في أساطير قومه، فحوَّلها إلى مسائل خاصة بمصائر البشر، أو إلى عدالة الآلهة: فيتألم بروميثيوس^١ وتتألم إيو^٢ أمام عيوننا، فنجد أنفسنا في الحال وجهاً لوجه أمام سؤال عما إذا كان سيد أوليمبوس^٣ Olympus إلهاً عادلاً. وظن الشاعر نفسه في تلك المستويات العالية للفكر والعاطفة حيث يستطيع ملاحظة الخير

^١ شقيق إبيميثيوس ووالد ديوكاليون. يميزه الاسم بروميثيوس كرجل ذي بصيرة، بينما الاسم إبيميثيوس يشير إلى رجل قصير البصر. كان يُعتبر بروميثيوس أعظم محسن عرفه البشر، وبطل الأموات ضد دكتاتورية زوس. أتى إليهم بهدية النار فمهد بذلك الطريق لتقدم مدنيتهم وعلومهم وفنونهم. كان يُنظر إليه أيضاً كخالق للإنسان. صنعه من الطين في هيئة الآلهة ومنحه بعض صفات الحيوان.

^٢ أحبها زوس وحوَّلها إلى عجلة ليحميها من غضب زوجته هيرا. وعلى ذلك طلبت هيرا من زوس أن يقدمها هدية لها فوضعتها تحت حماية الوحش أرجوس ذي المائة عين.

^٣ أي زوس حاكم العالم ورئيس سائر الآلهة والبشر. اختص بأن يشرف على مجالس آلهة أوليمبوس العظام وهو يتأثر أحياناً بأرائهم وبنصائح ومطالب الأفراد، ولكنه كان في الوقت نفسه يستطيع أن

والشر، وهما من عوامل القدر الغامضة التي تجعل من خُلق الإنسان أداها، وأوجد العلاقة بين العقاب والإثم، ومعنى الآلام ومعاملات الرب مع الإنسان، والوحدة الأساسية للهدف الإلهي. تناول أيسخولوس هذه الأفكار السامية، مبدئيًا، كفننن وليس كواعظ، وشرع يوضح حالات عدم المطابقة، التي تمنعنا من أن ننسب إليه أي مذهب فلسفي أو ديني متعمد. لم يُسلم معلم الدين أو الفيلسوف روحه إلى أية أسرار غامضة أو عقيدة. كان الإنسان أعظم من أعماله وهو الأعظم بين معاصريه، ولو أن العمل هو خلاصة عقل نبي عظمة روحية مثقل في طريقه القديم بأسرار جميع العالم غير المفهوم.

ما عادت الفلسفة في عصر أيسخولوس مجال الباحث في أسباب الأشياء، المنعزل ... وقد شمل المفكرون الأيونيون الإنسان في تأملاتهم على أنه جزء من مكونات الطبيعة؛ إلا في حالة اتصال الدين بالعلوم الطبيعية، كما هو الحال في فيثاغورث Pythagoras. وجد أيسخولوس في الإنسان «مركز ثقل» العالم. وجده في الإنسان الذي يُظهر تجاربه وأفعاله في بيئته، وفي عوامل النفوذ البعيدة التي انحدرت إليه من أسلافه في أجيال متتابعة. كانت لديه فكرة أو لمحة عن الأسباب المعقدة الكامنة وراء الأحداث البشرية. فاستطاع في مسرحية «بروميثيوس» على الأقل أن يجد نواة الفعل التراجيدي للباعث الناشئ من الداخل. والحقيقة أنه لم يوفق بين عناصر الحياة المتضاربة بيد أن سرَّ فنه الكامل النمو، هو فهمه للعلاقة العابرة بين الأخلاق والأفعال والكوارث. وإذا كانت متنوعاته أقل من متنوعات يوربيديس Euripides، وكذلك أقل من متنوعات سوفوكليس Sophocles، فإنه يرى الحياة كوحدة أكثر مما يراها هذان. فنسب الحقائق الخالدة للحكمة القديمة لقومه، والأمثال التي يتضمنها علم الأخلاق، إلى حياة الإنسان، وهي تعمل وتتألم. وفي الوقت ذاته أظهر تعميم استعمال هذه الأشياء في أشخاص الماضي الأبطال. شرع أيسخولوس، بعد أن استغل الظروف الملائمة له في دولته بعد انتهاء الحرب الفارسية، شرع يسيطر خطوة خطوة مع تكرار التجارب، على تقنية (القواعد الفنية) فنه الذي طور صورته الأكثر ميكانيكية (واللتين ليستا أقل روحية) وهما الموسيقي والرقص، حتى بلغتا ذروة الإتقان الذي تمتعتا به فيما يختص بالفن الدرامي. فزود التراجيديا بمبدئها المرشد للاستغناء عن عنصر الكوروس بالعنصر الدرامي الأكثر حيوية، والقادر وحده على الوصول بالمشاعر

يصرف الأمور دون الاستعانة بهم؛ إذ كان يفوقهم جميعًا قوة، وكانت إيماءة واحدة من رأسه تكفي لتحقيق رغبته وتزلزل جوانب أوليمبوس الذي كان يقوم فوق أعلى نواباته قصره المنيف.

والحكم، الموحية للعقل البشري، إلى أسمى درجة. ويبدو أنه هو الذي ابتكر وحدة المجموعات الثلاثية والرباعية، التي عندما تُحول إلى مسرحيات تتخللها مادة الأساطير، وكل منها عبارة عن مسرحية تتضمن فعلاً درامياً كاملاً هو جزء من مجموعة أكبر تمثل أرقى فكرة عن النبوغ الإغريقي في فن الدراما. والحقيقة أنه يُعزى إلى أيسخولوس تطوير فن ناشئ إلى صورة فخمة، واختصر أثر الزمن في محو أعمال أسلافه. وصار بوسع خَلْفه أن يعملوا على ضوء وهدي أعماله، وقد أطلق العنان لفهمهم وخيالهم أن يسرحا في مجال أوسع، بواسطة فهمه وخياله هو نفسه. ولا يدين بفته إلى أي شخص أعظم من نفسه. وبالاختصار، كان هو مشرع التراجيديا في العالم. ولم يسعَ إلى مطابقة فنه لذوق عصره، بل كان يرمي إلى أن يُضفي على ذلك الذوق نبلاً في ضوء عالم نموذجي. وإذ تناول آفاقاً أبعد مما تناول أسلافه، كَرَّس جهده لـ «الزمن Time» الذي أُطلق عليه معاصره بندار Pindar^٤ اسم «سيد الخالدين» و«خير حامٍ للرجال العادلين».

وُلد أيسخولوس في سنة ٥٢٤/٥٢٥ ق.م. تبعاً لما اتَّفَق عليه بالإجماع في العصور القديمة، وهذا تاريخ قد يكون صحيحاً تقريباً. وكان والده يوفوريون Euphorion مواطناً أثينياً من منطقة إليوسيس Eleusis. وكانت إليوسيس هذه دُوَيْلةً لم تُمَحْ ذكرى استقلالها في القرن السابع — هذا إذا نُسبت إلى هذا العصر أنشودة هوميروس التي نظَّمها في الربة ديميتير Demeter^٥ والتي تسجل أنه كان يحكمها ملك وطني. وصحب إدماج المجتمع الصغير في المجتمع الأكبر طقوسٌ دينية تتعلق بالأسرار الدينية التي رسم لمعرفة كل رجلٍ من أصل هيليني. وظلت صفات وأخلاق أهل إليوسيس، حتى القرن الرابع، تميزهم عن المواطنين الأثينيين. ويبدو أن يوفوريون كان أحد أعضاء طائفة النبلاء، وكان واسع الثراء. كان أيسخولوس، بحسب مولده، من طبقة اجتماعية أرقى من طبقتي سوفوكليس ويوربيديس. ويعرف الرجل النبيل العريق الأرومة بقوله: «هو من كان نبيل المولد، يتبوأ عرش الشرف في سموٍ ورفعة» ويصف ذا الثروة القديمة بالعطف على عبيده. وكان ذا رقة إنسانية ورحمة بعامة الشعب أكثر من معاصره الأريستوقراطي

^٤ شاعر إغريقي غنائي طائر الصَّيت. وُلد في قرية قريبة من طيبة عام ٥٢٢ ق.م. وهناك من يقول في عام ٥١٨ ق.م. كان من عائلة إسبرطية عريقة واشتهرت أشعاره بروعة الأسلوب وجمال الكلمات وحسن اختيارها مع الإبداع في صياغة أوزانه الشعرية.

^٥ إحدى ربات الإغريق العظيمات. كانت ربة البقول والفاكهة والبذر والحصد بل الزراعة عامة.

بندار؛ وقد بُني النبيل الأثيني على نمط يختلف عما بُني عليه الأريستوقراطي البيوتي Boeotian أو الدوراني Dorian. ورغم مركز أيسخولوس الاجتماعي فلم يأنف من التمثيل في مسرحياته. ولسنا بحاجة إلى أن ندهش لهذا. فقد كان دور الشاعر المسرحي، في عصره، مصحوباً بدور الممثل وبالمهارة في الموسيقى وفي فن الكوروس، وبمجموعة من الوظائف التي لا تمنع صاحبها من خدمة المجتمع في كل من المجلس والحقل. وقد حققت الدراما الناشئة فائدة عظيمة من قيام الشاعر بالتمثيل. يجب على الممثل أن يترجم مبتكرات شخصيته الثانية إلى صوت وبصر.

لما كان أيسخولوس يوباتريدياً^٦ eupatrid فقد كان عضواً في الأريستوقراطية القديمة التي أشارت الأسطورة في خلقها إلى ثيسوس Theseus^٧. والحقيقة أن المميزات السياسية لهذه الأسر الموجودة في مختلف المناطق التي تمتاز بالثروة وبالقوة، قد اكتسحتها إصلاحات كلايستينيس^٨ مع كثير من الطقوس المحلية التي قامت بدور بارز فيها. ومع ذلك، فإن هيبتها الاجتماعية ونفوذها المهيمن على الصفة الصورية للوظائف الدينية في الدولة، ظلَّ باقياً لمدة قرن بعد ذلك. وقد اتصلت هذه بظهور عبادة ديونيسوس Dionysus^٩، ومن المحتمل أن الراغبين في التطهر من التلوث بجريمة الدم كانوا يلجئون إليها. أما في إليوسيس، فقد نظمت أسرة اليومولبيدي Eumolpidae اليوباتريدية ملاحظة

^٦ استعمل هذا الاسم هنا كإشارة عامة إلى «النبيل»، وليس كاسم عائلة خاصة هي «اليوباتريدي». ويمكن ملاحظة أن هذه الأسرة «genos» أخرجت من طقوس اليومينديس Euminides حماة حق الأم، ويبدو أن ذلك لعلاقتها بأوريسستيس بطل حق الأب. وقال البعض إن أوريسستيس كان يعتبر جد (genos) وأول «مفسر» لما يختص بتطهير المتضرعين في حالة القتل.

^٧ ابن أيجيوس ملك أثينا. قال البعض إنه ابن الإله بوسايدون، إله البحر. علمه «خيرون» الصيد، كما تدرج على مختلف التمارين الرياضية والبدنية، حتى ظن فيما بعد أنه مبتكر رياضة المصارعة.

^٨ مؤسس الديموقراطية الأثينية. ابن ميغاكليس Megacles الألكامبونيدي Alcmaeonid الذي تزوج أجاريسيستي Agariste، ابنة كلايستينيس، طاغية سيكون Sicyon.

^٩ رب الخصب العظيم وخصوصاً في الكروم؛ ولذا كان إله الخمر. وموطنه الأصلي، تبعاً للأساطير العادية، طيبة حيث أنجبته سيميلى، ربة القمر، من زوس، الذي أهلكها بركة، وولد الطفل بعد أن حملت به مدة ستة شهور فحسب؛ ولذلك وضعه زوس في فخذه وخاط الفخذ حتى اكتمل نمو الطفل، فأعطاه إينو Ino ابنة سيميلى. وبعد موتها حمل هيرميس Hermes، رسول الآلهة، الطفل إلى حوريات جبل نوسا Nysa، أو كما تقول رواية أخرى، إلى هياديس Hyades دودونا اللواتي ربينه وأخفينه في كهف خوفاً من غضب هيرا.

طقوس الأسرار الدينية، وقدمت رئيس الكهنة الخاص بالعيد، وكونت هيئة تفسير القانون المقدس، كما كونت، في حالات معينة، محكمة للنطق بالحكم في قضايا المخالفات الدينية. كذلك كانت هناك طائفة يوباتريدية أخرى هي طائفة الكيروكيس Ceryces، قدمت الكهنة الأقل أهمية، واشتركت مع عائلة اليومولبيدياي في الاضطلاع بطقوس الرسامة الدينية. ولا نعرف إلى أية أسرة من أسر إليوسيس اليوباتريدية العديدة ينتمي هذا الشاعر. بيد أن مولده في ظل القداسة الشهيرة للأهداف الدينية الأكثر نقاءً، قد ضمن لشبابه فترة أعدة لمهمته فيها نفوذ الأسرار المقدسة الثابت فيما يختص بالأُم وبالفتاة. ليس كمدرس للدين، وإنما كمعلم متدين لشعبه عن طريق الفن الدرامي.

بينما لا يمكن تنفيذ احتمال تأثير هذا النفوذ على ذلك الشاعر النامي فإن هناك مسألة لا تزال بغير جواب: هل كان أيسخولوس من المرسومين فعلاً لتلك الأسرار؟ فإذا كان كذلك، فلا بد أنه كان خبيراً بتلك الطقوس كاملة حتى لا يكون جاهلاً بأية مظاهر يسبب إفشاؤها الكفر أو التجديف. فهل كان استقلاله عن الأخلاقيات السائدة وقتذاك، وميله إلى الهرطقة الميثولوجية التي نجد الدليل المناسب عليها في التراجميات، وهل كان اتصاله القريب بالمعبد، قد جعله كل ذلك يحس بعدم الحاجة إلى التقديس الإليوسيانى؟ ومع ذلك، يقول أريسطو، ويؤيده كلمنت Clement الإسكندري، إن ذلك الشاعر، عندما اتهم بالكفر لإفشائه نقطاً معينة من تلك الأسرار، لجأ إلى تبرئة نفسه معترراً بأن خطأه يرجع إلى التهاون؛ إذ لم يلاحظ أن المسائل موضوع التهمة كانت ضمن أسرار طقوسها. ويمدنا هيراقليديس بونتيكوس Heracleides Ponticus تلميذ أريسطو بتفاصيل (وربما كانت غير حقيقية) مؤداها أن أيسخولوس كاد يُعدم في المسرح، ولكنه أفلت بالتجائه إلى مذبح ديونيسوس، وأنه عندما قُدّم للمحاكمة أمام الأريوباجوس Areopagus^{١٠} (محكمة جنائيات أثينا)، كان أهمُّ ما استندت إليه المحكمة في تبرئته هو بلاءه الحسن وشجاعته

^{١٠} محكمة قديمة للجنايات في أثينا. وسُمّيت بهذا الاسم لأنها كانت على تل أريس Ares بجانب الأكروبول حيث يُقال إن إله الحرب حوكم على مقتل هالبرونيوس Halirrothius ابن بوسايدون. وقد رفع تشريع صولون الأريوباجوس إلى هيئة من أقوى الهيئات بأن نقل إليها الجزء الأكبر من اختصاص المحكمة القضائية العامة. كما عهد إليها بالإشراف على جميع الإدارة الشعبية وإرشاد الحكام، وأعمال المجمع الشعبي والدين والقانون والآداب والطاعة، ومنحها سلطة استدعاء أي فرد، حتى الخاصة، للإجابة على أي سلوك غير شرعي. وكانت «محكمة الأريوباجوس»، كما كان يطلق عليها كامل هذا الاسم، تتألف من أعضاء لدى الحياة يُعرفون باسم أريوباجيتيس Areopagites. وكانوا يكلمون عددهم بأن يضموا

في موقعة ماراثون Marathon. غير أنه ما من أحد، سواء أكان هيراقليديس أو أيليان الذي يعرف ظروف هذه الواقعة بالضبط، يعرف ما فيه الكفاية ليذكر لنا اسم القطعة أو الموضوع الذي يُؤاخذ عليه هذا الشاعر. والحقيقة أن الأقدمين لم يعرفوا المادة الموضوعية أو الذنب الموضوعي (كما هو عنوان المسرحية أو المسرحيات التي تتضمن هذا الذنب) بينما لا يزال حدسهم، وكذلك تخمين المحدثين ولا سيما ما يقول بأن مسرحية «يومينيديس Eumenides» هي موضوع تلك التهمة؛ ولا يزال ذلك الحدس مفتقرًا إلى الدليل المقبول. ومن المحتمل جدًّا في غياب الأدلة الكهنوتية التي تحمي المعتقد اللاهوتي ولا توجهه، أن الكفر المنسوب إلى هذا الشاعر لا يختص بأي مذهب سري أو عقيدة سرية (لم تكن الأسرار الإليوسيانة Eleusian Mysteries عقيدية في أساسها، ولم يتورع أريستوفانيس Aristophanes عن إفشاء قوانينها مع تغيير طفيف)، بل بمظهر شكلي محض من الرموز الدرامية المعتبرة مقدسة في تلك الطقوس. أما الجمهور فيعزو هذا الأمر إلى إهمال الطقوس أكثر مما يعزوه إلى الهرطقة اللاهوتية. والحقيقة أن أيسخولوس اعتاد ذكر مصطلحات آراء التأملات اللاهوتية، ولكن يبدو أن هرطقته، على خلاف هرطقة دانتي Dante، لم تكن مقصودةً بالذات. بيد أن الاتهام لا يزال موجودًا، ولو أنه ما من شاعر في بلاد الإغريق كان متشبعًا بروح دينية متحمسة عميقة مثل أيسخولوس.^{١١} ومهما كان أصل استعمال الأشعار التي وضعها أريستوفانيس على لسان أيسخولوس عند بداية احتكاكه بيوريبيديس (الضفادع ٨٨٦-٨٨٧)، فإننا نعرف أن السطر الأول، على الأقل، من تأليف الشاعر الأكبر سنًّا:

«أيا ديميتير، يا مَنْ تغذِّين روعي الغضة،
اجعليني أهلاً لأسرارك.»

إليهم بعض الأراخنة الذين أدوا مدة خدمتهم بغير لوم. لم يكن كبر سنهم وحده هو الذي يزيد في نفوذهم، بل وطبيعتهم المقدسة أيضًا.

^{١١} كان أيسخولوس أول مفكر من المفكرين «المستنيرين» العديدين قُدِّم إلى المحكمة بسبب هفواته الدينية؛ فقد حوكم كلُّ من دياجوراس Diagoras وأناكساجوراس Anaxagoras وبروتاجوراس Protagoras وسقراط Socrates، وستيلبون Stilpon وأريسطو وثيودوروس Theodorus على مثل هذه التهمة، كما حوكم أندوكيديس Andocides على إفشاء الأسرار الدينية. واضطر أيسخولوس إلى أن يعيد كتابة بداية مسرحيته «ميلانيبي الحكيم Wise Melanippe».

إذن، فمن الواضح جدًا أن أريستوفانيس كان يعتبر أيسخولوس من المطلعين على تلك الأسرار، إلا إذا كان أريستوفانيس نفسه مذنبًا في الشيء ذاته الذي اتهم به تاريخ حياته الأدبي كما وضعه الفلاسفة المتجولون. وسواء تعلم طقوس ديميتير المقدسة في وطنه، أو لم يتعلمها هناك، فإنه لم يرسم في إليوسيس، وإنما نال تلك الرسامة في ماراثون وسالاميس، فجعلته واضع «قوانين الرب».

لما كان هذا الشاعر إليوسيانياً، فقد كان عرضة لنفوذ أثينا المجاورة حيث كان يُعقد جزء من الاحتفال الرئيسي بتلك الأسرار. ولا يمكننا الحط من قيمة الحافز الجديد الذي أُضيف إلى خياله الشاب بوجود رجالٍ في أثينا، في عهد هيبارخوس Hipparchus ابن بيزيستراتوس، مُلمِّين بالشعر الكهنوتي والوحي وطقوس التكفير والتطهير، في وقت الحماس الروحي، إذ كان الناس يتسابقون، بدافع المشاعر الدينية والأخلاقية إلى الحصول على التطهير من الذنوب وراحة البال من الآثام. فالشاعر الذي تضم مؤلفاته شيئاً من الآثار المباشرة للأسرار الإليوسيانية لا بد أن كان ذا معرفة بتعاليم فيثاغورث. وإن بعض إشاراتِهِ إلى محاكمة المجرمين ومعاقبتهم بعد الموت على الجرائم التي اقترفوها في هذا العالم المستقاة من المصادر الأورفية ما في ذلك أدنى ريب.

ولما كان أيسخولوس شاعرًا مدربًا على القتال، فقد أدَّى الخدمة العسكرية في ماراثون عند أول التحامٍ عظيمٍ مع الفرس الغزاة، وفي سالاميس. وربما كان أحد الجنود الثقيلي التسلح، الذين أبادوا، بقيادة أريستيديس،^{١٢} تلك القوة المرابطة في جزيرة بسوتاليا Psyttalea. وللرغبة في السموّ بشهرة هذا الشاعر الجندي، جعلته الروايات يشترك أيضًا في الحرب في أرتميسيوم Artemisium وفي بلاتيا Plataea. وقد اهتم جماعة معينة من العلماء المحدثين، اهتمامًا بالغًا، بإشارة هذا الشاعر إلى مواقع الشمال ومعارف طقوسه، فجعلوه يُسهم في حملة كيمون التراقية (الذي أباد حصن إيون Eion المسيطر على مصب نهر سترومون Strymon في سنة ٤٧٦-٤٧٥ ق.م.)، وربما في بعض الحملات الأخرى لاستعادة مواضع الاستيطان الواقعة على السواحل التراقية، تلك الحملات التي استمرت عدة سنوات.

^{١٢} عاش حوالي عام ٤٦٨ ق.م. لقب بـ «العادل». هو ابن لوسيمachus وأحد القادة الديموقراطيين في أثينا. اشتهر بنزاهته وعدالته ووطنيته وتواضعه الجَمِّ. اصطدم مع ثيمستوكليس Themistocles لما دانت السلطة للأخير مما أدى إلى طرده من البلاد عام ٤٨٢ ق.م.

يُحتمل أن تكون زيارة أيسخولوس الأولى للملك هييرو Hiero، فيما بين سنتي ٤٧٦، ٤٧٣ ق.م. (وهذه هي السنة السابقة لإبادة الفرس). ولما كان هذا الملك القبرصي صديقًا للأدباء وحكمًا بالغ الذوق، فقد سما ببلاطه إلى درجة رفيعة حتى إن الشعراء ذوي أرفع العبقريات في الوطن، أمثال بندار وسيمونيديس وبأخوليديس، قد وجدوا من المريح لهم قبول كرم ولطافة حامٍ لا يوجد خير منه في فن تقدير مَن اعتُبروا ملوك فناني عصرهم في بلاد الإغريق. وربما كانت زيارة أيسخولوس الأولى للغرب ذات صلة باحتفال هييرو بإعادة بناء مدينة إتنا Etna سنة ٤٧٥/٤٧٦ ق.م. ونرى في مسرحية «نساء إتنا Women of Etna» أن الشاعر ترك المصادر العليا للميثولوجيا البانهلينية Pan-Hellenic، ووجد ضمناً في طقوس الصقليين المحلية للتكهن بالرخاء الذي استقاه من مؤسسي تلك المدينة عند سفح الجبل الذي ثار في سنة ٤٧٩/٤٧٨ ق.م. (أو تبعاً لثوكوديديس Thucydides^{١٣} في سنة ٤٧٥/٤٧٦ ق.م.) فأوحي إليه بالفقرة الشهيرة في بروميثيوس (سطر ٣٤٧)، والوصف الأكثر روعة في قصيدة بندار لهييرو. وربما شاهد أيسخولوس بنفسه ثوران ذلك البركان، ولكن تصويره لهذا المشهد أقل حيوية من تصوير الشاعر الغنائي له. وإذا كان قد كتب تلك الفقرة بعد مضي مدة طويلة، فمن المعقول أنه دخل المسابقة عمداً مع بندار الذي ألف قصيدته في سنة ٤٧٠ ق.م. ومهما كان هذا الأمر، فما من أحدٍ من زملائه يمكن أن يكون قد دخل المسابقة مع أيسخولوس عندما أجاد عرض مسرحية «الفرس» هناك، وهي مسرحية عن الحرب، تُوِّجت من قبل بالجائزة الأولى في أثينا. وقد ذهب أيسخولوس وقتذاك إلى قبرص، لا ليكسب الشهرة، بل ليتسلم جائزة الشهرة.

لا ينظر صغار الذكاء إلى العظماء إلا في ضوء صغرهم، فقد عُزيت مغادرة أيسخولوس لبلاد الإغريق وذهابه إلى صقلية، نقول عُزيت في العصور القديمة إلى أنه ذاق جذور المرارة بسبب تفضيل الشعارين سيمونيديس وسوفوكليس عليه، أو لأنه لم يستطع احتمال روح ذلك العصر. وما قصة انسحاب أيسخولوس إلى صقلية بسبب غيظه من اندحاره على يدي سوفوكليس، إلا قصة تافهة وسخيفة. لا بد أن كان أيسخولوس، في نفس السنة التي انتصر فيها سوفوكليس (سنة ٤٦٨ ق.م.)، في أثينا يكتب مسرحيته «الأوديبوديا Oedipodea»، استعداداً للعيد الدرامي في العام التالي. أما سبب سفره إلى

^{١٣} مؤرخ إغريقي ذائع الصيت عاش ما بين ٤٦٠ و ٤٠٠ ق.م. على وجه التقريب. أثيني المولد ومن عائلة تجري في عروقتها الدماء التراقية.

صقلية في سنة ٤٥٨ ق.م. بعد عرض «الأوريستيا Oresteia» فلا يزال غامضًا. وقد قيل الشيء الكثير عن عدم رضا هذا الشاعر (المحافظ في ميوله السياسية كغيره من ذوي العقول الفنية الكبيرة) عن نمو نفوذ الحزب المناوئ لكيمون ... يبدو أن الزمن لم يكن ملائمًا لرجلٍ أثينيٍّ من عصر أريستيديس، يتخذ في ذلك الوقت نظرة شفق الحياة. بعد ذلك أخذ جيل جديد طائش، يفتقر إلى روح الوقار التي كانت للجيل القديم، يشق طريقه إلى المقدمة. فهاجم إفيالتيس Ephialtes بالاشتراك مع بركليس حصن الأريستوقراطيين، وهم مجلس «الأريوباجوس». بدأت المعارضة بحركة ترمي إلى إبعاد بعض أعضاء تلك الهيئة بتهمة ابتزاز الأموال، انتهت بهجوم على صيانتها للقانون، والاحترام الشكلي الواجب للآلهة تاركة للمجلس، كوظيفته الهامة الوحيدة، اختصاصه في الفصل في قضايا القتل (سنة ٤٦٢). فقدم بركليس وثيقة تنص على دفع أجور لهيئة المحلفين، وأعطى الأراخنة مبلغًا معينًا للنفقات اليومية. فارتفعت النزعة السياسية. فقتل إفيالتيس في سنة ٤٦١ أو سنة ٤٦٠ ق.م. أما التصويت بأغلبية الأصوات الذي أباد كلاً من ميغاكليس Megacles وكسانثيبوس Xanthippus وأريستيديس وثيميستوكليس، فقد أبعده كيمون، في سنة ٤٦١، من مشهد النضال الحربي ... يتخذ هذا الشاعر في مسرحية «يومينيديس» موقفًا بعيدًا عن صخب الأطماع الحزبية، فيقوى مذهبه الخاص بالصلح. وإن وافق بولاء على ذلك القانون الذي غير طبيعة الأريوباجوس، فإنه يوصي بإلحاح في تلك المسرحية بوقف الحزازات والأحقاد والأخذ بالثأر، ويذكر احتجاجه الجدي ضد أية تجديلات أخرى، مع الإشارة إلى الاقتراح (المقدم في نفس سنة «الأوريستيا») الخاص بقبول أعضاء من طبقة ذوي الأملاك في الفئة الثالثة في مناصب الأراخنة وفي الأريوباجوس. غير أنه إذا كان أيسخولوس أقل ابتعادًا عن أحداث ذلك الوقت، من سوفوكليس أو جوتيه Goethe، فليس من العدل اتهامه بالافتقار إلى الغيرة الحزبية في وطنه ... سبق أن أوحى إليه سالاميس بالمبول البانهيلينية. وكانت الوطنية القومية التي لا تقل عن الوطنية القروية مع الغيرة الدينية إحياء عبقريته.

رغم عدم إمكاننا تفنيد احتمال عدم رضا هذا الشاعر عن مجرى الأحداث في وطنه، فإنه لم يكن بالرجل الذي يهجر وطنه غاضبًا، كما هو الحال في المحدثين. ربما لم يكن لديه أي باعث أعمق من استعداده لإعادة عرض مجموعته الثلاثية الأخيرة.

مات أيسخولوس في جيلًا Gela بصقلية سنة ٤٥٥/٤٥٦ ق.م. وأما عبارة التآبين الجميلة التي كتبت على قبره وصيغت بروح القرن الخامس التي تنظر فقط إلى كونه

مواطناً جدياً، وليس بصفته شاعراً، فيحتمل جداً أنها صيغت في أثينا بعد موته بفترة قصيرة.

«يخفي هذا القبر رماد أيسخولوس
ابن يوفوريون، وفخر جيلا المثمرة،
وبوسع ماراثون أن تخبر بشجاعته المجربة،
كما يخبر بها ميديس Medes ذو الشعر الطويل الذي يعرفها حق المعرفة.»

ظل الاعتراف بذلك الشاعر مدة طويلة بعد موته! فصدرت القرارات العامة بعرض مسرحياته. أما نيوغه التراجيدي فانحدر إلى ابنه وإلى بعض أولاد شقيقته. يوجد في الكابيتولين^{١٤} تمثال نصفي يُقال إنه تمثال أيسخولوس، بيد أن التعرف عليه لا يستند إلى أي دليل قاطع سوى المقارنة التي قام بها أولاً ميكوري Melchiorri، إذ قارنه بصورة على لوحة زجاجية^{١٥} اعتُبرت إما مصورة على نمط «تأليه» هوميروس. وإما إشارة إلى الأسطورة القائلة بأن ذلك الشاعر لقي حتفه عندما ألقى نسر بدرقة سلحفاة فوق رأسه الأضلع، إذ خاله صخرة، وهذه أسطورة وجدت مكاناً، على الأقل، في مؤلفي السير توماس براون Sir Thomas Browne بعنواني «المبتذل Vulgar» و«الأخطاء الشائعة Common Errors». وقد يكون تمثال برلين هذا من صنع حديث. غير أن القصة القائلة بأن درقة سلحفاة كسرت جمجمة رجل أصلع تؤيدها إشارة ديموقريطوس Democritus في القرن الخامس عند مناقشته علاقة المقصود بالصدفة. وقد شاعت نسبة هذا التمثال لأيسخولوس بطريقة عرضية، ولو أن بعض الشخصيات الشهيرة، أمثال: فيدياس Pheidias وهيبيوقراطيس Hippocrates وديوجينيس Diogenes، تملك الأدلة المادية الخاصة بهذه المسألة.

كان أيسخولوس، كما قال ميلتون Milton عن سبنسر Spenser، «شاعراً حكيماً وجاداً». وإذا طرحنا جانباً أية محاولة لجعل تمثال الكابيتولين محاكاة للدلالة على مزاج

^{١٤} القمة الجنوبية لتل الكابيتولين بروما، يقوم فوقها معبد جوبيتر الذي بدأ بناءه التاركوينيون Tarquins، ولكنه لم يتم حتى العام الأول من عصر الجمهورية (سنة ٥٠٩ ق.م.). كان هذا المعبد مستطيل الشكل يقرب من المربع، بواجهته ثلاثة صفوف من الأعمدة بكل منها ستة عمد، وبكل جانب أربعة أعمدة. وقد نُحِتت هذه الأعمدة على الطراز الدوري أو التوسكاني.

^{١٥} توجد هذه اللوحة الآن في برلين.

أيسخولوس إن لم تكن على أخلاقه، فإن أعماله لتلقي بعض الضوء على شخصيته. ففيها السمات الحقيقية للشخصية. فالشاعر الذي تخيل «بروميثيوس» و«الأوريستيا» لا بد أن كان رجلاً بعيد الغور، ركزت روحه على عظام الأمور في الحياة، *Sempre il magnanimo si magnifica in suo cuore*. وإذا كان متصوفاً مثل ميلتون، فإننا نتخيله ذا طبيعة استكملت صفات الرجولة في قوة، كما نتخيله عنيفاً، إن لم يكن صارماً، سما بنفسه فوق طرق التفكير العامة، ويعرف لنفسه حق قدرها الرفيع، عديم الاكتئاب إذ كان كثير الدعابة، ويشبه النبي العبري حزقيال Ezekiel؛ غير أن هذا الأخير لم يكن صلب الرأي مثل أيسخولوس.

عُرِضت أولى مسرحيات أيسخولوس في سنة ٤٩٩ ق.م. وعُرِضت آخر مسرحية له في سنة ٤٥٨ ق.م. ولا يقل مجموع ما ألفه عن تسعين تراجميدية ومسرحية ساتورية، متحدة، كقاعدة، في مجموعات تتكون كلُّ منها من أربع مسرحيات. أما مسرحيات المجموعات الثلاثية (ذات المسرحيات الثلاث) فترتبط معاً بصلة مادة الموضوع، أو بأية صلة مثالية من الصلات الأخلاقية أو الروحية للأفكار الميثولوجية. ولم يعجز هذا الشاعر عن الاحتفاظ بحرية علاجه للموضوعات، حتى بعد أن ابتكر الدورة الدرامية. ومع ذلك، تختلف درجة العلاقة بين مسرحية وأخرى. ففي حالة مسرحية «الفرس» المبنية على دراميات ذات صفة أسطورية، يبدو من المحتمل أنه فضّل فيها، متعمداً، حرية الأسلوب. وقد نال الجائزة الأولى ثلاث عشرة مرة، ولو أنه لم يحظَ بأول فوز له إلا في سنة ٤٨٤ ق.م. وبذا يخالف صدق المثل الذي قاله جوزيف دي ميستر: Joseph de Maistre «مَنْ لم يُهزم ثلاثين مرة فلن يهزم إطلاقاً». ولم يبقَ من مسرحيات أيسخولوس إلا سبع فحسب سلمت من اعتداء الزمن، وتتألف منها مجموعة جُمعت بعد السيد المسيح بوقت ما، ولكن ليس قبل القرن الثاني للميلاد. وأشهر مؤلفاته الباقية هي الأوريستيا، وأجزاؤها الفردية متصلة، حتى إن بقاء أية مسرحية من مجموعتها ليجر بقاء الأخريات. أما مسرحية «برميثيوس المقيد Prometheus Bound» ففريدة في موضوعها ولقيت قبولاً لدى الذوق الرفيع؛ وسجلت «الفرس» انتصاراً في الوطنية القومية. ويُشتمُّ من «السبعة ضد طيبة Seven against Thebes» روح الحروب. وربما كان جمال أناشيد الكوروس في مسرحية «المتضرعات»، ونغمتها الدينية السامية، هما اللذان حفظاها من الضياع. وقد اختفت مؤلفات أكثر شهرة من المؤلفات الباقية — *habent sua fata libelli* — وإذا كان ما بقي لدينا لأبي التراجميديا قليلاً، فإن هذا القليل ليتميز بنبوغ، هو في حد ذاته خاصة من خواص القوى الابتكارية التي من أسمى نوع.

في أولى أيام أيسخولوس، كان منافسوه خويريلوس Choerilus وبراتيناس Pratinas وفرونيخوس Phrynichus يحظون بقبولٍ أعظم مما يلقاه هو من الرأي العام، ولم يحظَ بأول فوز له إلا بعد جهد دام خمسة عشر عاماً، وبعد أن اضطر هذا الشاعر التراجيدي الأول لمدينة أثينا، إلى أن يتبارى مع منافسيه في نفس المجالات التي تخصصوا فيها. وإن فرونيخوس هو الذي أدرك الإمكانات التراجيدية للموضوعات المستقاة من التاريخ المعاصر، الذي قد تكون أشجانه دورًا يقابل سقوط طروادة، وهو الذي صور الاستيلاء على ميليتوس Miletus كأمر متوقع يساعده على وضع مسرحية من كارثة الفرس التي حدثت قبل بداية تلك المسرحية، وقبل المنظر المخصص للشرق. وقد تناول أيسخولوس هذا الموضوع بنظرة سيكولوجية عميقة، وبأثر إخباري أكثر، وقوة أعظم لتصوير روح أمة بأسرها. ومن المحتمل جداً أن يكون فرونيخوس قد سبقه في تناول أسطورة الدانات Danaïds. «شاعر وارث لشاعر، كما في حالتك الآن.»

تتكون أهم تجديبات أيسخولوس الشكلية في دور الكوروس، وقيل كل شيء آخر، في إضافة الممثل الثاني. فإن زيادة ممثل آخر على الممثل الواحد لدى ثيسبيس، قد جعلت أيسخولوس المؤسس الحقيقي للدراما؛ إذ جعل بالإمكان تنازع الإيرادات المتعارضة، وحوّل الفعل إلى شخصيات أكثر كمالاً، وأضاف تقدماً جوهرياً في الفعل الدرامي. فأصبح في المشهد الواحد ثلاثة أشخاص (من بينهم متعهد الكوروس) متكلمين. أما في المسرحيات الأبسط فترجح كفة عنصر الكوروس على كفة العنصر الدرامي. والكوروس هو العنصر الرئيسي في مسرحية «المتضرعات»، كما هو أيضاً، إلى حد ما، في «الفرس» فغدا الكوروس عاملاً حيويًا في الاقتصاد الدرامي، في «الأوريستيا». ولا تزال مسرحية «المتضرعات»، تراجيدية عتيقة «مقمة بثياب عهد الرضاع»، بينما نرى «الأوريستيا» تراجيدية كاملة النضج ... لم يتردد ذلك الشاعر، في شيخوخته، في الاعتراف بأهمية إضافة الممثل الثالث التي ابتكرها سوفوكليس الجريء في أول قفزة له نحو الشهرة. فقال، وهو في السبعين من عمره وكان لا يزال لئيم الطباع: «إنه لمن الممتع للعجوز أن يتعلم». وقد حسنت أعماله الأخيرة أعماله المبكرة. وإن حياته لسجل للتقدم المطرد للموهبة الشعرية التي توحى بها عبقرية من أعلى طراز، وذلك، على الأقل، في محيط الصنعة المسرحية. ويمكن مقارنة ذلك التقدم بتقدم أعظم كُتّاب المسرحيات الإنجليز الذين كانت أعمالهم الأولى إعادة صقل أعمال غيرهم من كُتّاب المسرحيات.

كان المصدر الرئيسي لقصص أيسخولوس، الخزانة العظمى لشعر البطولة، وتضم كمية ضخمة من شعر الأبطال. وكان في حياته على صلة بمؤلف الإلياذة Iliad

والأوديسة Odyssey — وهاتان منظومتان، مادتهما أساطير العصور القديمة بعد أن هذبها ذوق الشعراء المنشدين المتجولين، وزاد فنهم في طولها، متقربين إلى الميول الشعبية، وملتمسين قدسية الأشعار من وجود آلهة المعتقدات القومية والناماذج البشرية المعتبرة مثلًا عُليا لأمتهم ... عاش أيسخولوس في دنيا البطولة تلك كما يعيش الكاتب المسرحي الحديث في دنيا عصره وجيله. جاء هوميروس إلى أثينا بعزيمة جديدة منذ أن تقرر تلاوة أشعاره في العيد البان أثيني، الذي كان يقيمه أو يحييه بيزيستراتوس ... اجتاح طرق التفكير في العصور القديمة تيار من شعر الأبطال، معظمه أساطير أيونية Ionic، محاذاً اتساع أفق الخيال إذ ذاك، فكان أيسخولوس، هو وبندار، أول من لاحظ إمكانيات جديدة للفن الشعري، يمكن أن تشع روحًا جديدة على ذلك العصر. فواجهت قيود الحياة الناشئة عن العادات والقانون والدين، في قوم معظمهم من الزراع؛ بخيال أقاربهم غير المحدود، في الجانب الآخر من بحر إيجه. فأثار هوميروس، قبل غيره من الشعراء المسنين، نشاط عقل أيسخولوس ... قويض لأساطير شاعر البطولة القومي المليء بالروح الأتيكية الحديثة المولد، ولم تعكر صفوه، بعد، روح النقد ولا روح السخرية الناشئتان عن تطور الفكر الموضوعي في عصر يوريبديدس، قويض لها أن تصير وسيلة لخلق عالم يشرف فيه الرب على شئون البشر ويديرها. كانت الأساطير المقتبسة من هوميروس لحمة وسداة نسيج مؤلفات أيسخولوس؛ ولم تكن، كما هي الحال في بندار، عنصرًا مساعدًا استخدم لأغراض التوضيح والزخرف استعمل أيسخولوس الأسطورة للتعليم والتهديب والرقى، فلقبت ترحيبًا واسعًا في قالبها التراجيدي لدى الرأي العام كالذي لقيه شعر البطولة، وأوسع مما لقي الشعر الشجوي أو أشعار الكوروس الغنائية. وتتخلل روح البطولة طريقة أيسخولوس في تناول موضوعاته. فلديه اتساع بطولي ونشاط بطولي وتصوير بطولي. ولكن ذلك كله لا يشير إلى أي عنصر آخر غير مادة البطولة التي يقرر أيسخولوس، وهو مدرك أنه مدين لملك الشعراء المنشدين، بأن مسرحياته ليست سوى لقيمات من مائدة هوميروس العظيمة، كما لو كان أحد الأبطال الذين خصصت لهم بعض فئات الطعام، تبعًا للخيال السائد وقتذاك. والحقيقة أن أيسخولوس قد منح الدراما طابعها التراجيدي، بأن فتح أمامها مجال شعر الأبطال.

مما يميز أيسخولوس عن غيره من شعراء عصره، أنه رأى في قصص البطولة موضوعات بطولية تصلح للفن التراجيدي. فرسم أساطير مختارة من الدوائر الطروادية والأرجوسية والطيبية، ومصدرها في الإلياذة والأوديسة، ومن دائرة شعر البطولة في

هسيود.^{١٦} وتأثر، في بعض الأحيان بتعديلاتها على يد ناظمي شعر الكوروس الغنائي، وخصوصاً ستيسيخوروس Stesichorus. ويبدو أن سابقى أيسخولوس لم يميلوا إلى الأساطير المأخوذة من قصة أخيل Achilles^{١٧} وأوديسيوس Odysseus^{١٨}، بينما كان سوفوكليس أكثر منه اعتماداً على الإلياذة والأوديسة.

تتصل مسرحية «الكاريون Carians» أو «أوروبا Europe» بالحرب الطروادية التي تناولت قصة ساربيدون Sarpedon ابن زوس الذي قتله باتروكلوس Patroclus في المعركة، وتكون «المورميدون Myrmidons» و«النيريديات Nereids» و«افتداء هكتور Hector» مجموعة ثلاثية مواضيعها موت باتروكلوس Patroclus^{١٩}، وصنع عدة حربية جديدة لأخيل، ومقتل هكتور^{٢٠}، ومجيء بريام Priam^{٢١} للحصول على جثة ابنه. والشخص

^{١٦} شاعر إغريقي قديم اشتهر بمنظومته «الأعمال والأيام» وبمجموعة أخرى من المنظومات القيمة كمنظومة «الثوجونيا Theogony» وتعتبر الوثيقة الأولى التي نظم بها هسيود سلسلة نسب الآلهة الذين أوردتهم هوميروس في منظومته الإلياذة والأوديسة دون مراعاة لأسبابها أو ترتيبها الزمني.

^{١٧} ابن ملك المورميدون من الحورية ثيتيس Thetis. تعلم أخيل فنون الحرب والفصاحة على يد فوينيكس Phoenix، كما تعلم فن العلاج على يد القنطور خيرون Chiron جد أمه. ولكي تجعله أمه خالداً كانت تدعنه بالأمبروسيا نهاراً وتضعه فوق النار ليلاً لتتلف أي عنصر بشري ورثه عن أبيه. حتى إذا كان ذات ليلة جاء أبوه فوجد ابنه يشوى فوق النار فأقام الدنيا وأقعدها. فغضبت الربة لإحباط خطتها، فهجرت الزوج والابن وعادت إلى بيتها مع الحوريات.

^{١٨} ابن ملك إيثاكا. تزوج بنيلوبي وأنجب منها ابناً اسمه تيليماخوس. اتخذ هوميروس بطلاً للمحمته «الأوديسة» فخلدها وخلدته.

^{١٩} نشأ مع أخيل فتولدت بينهما صداقة كانت مضرب الأمثال. وعندما انسحب أخيل من القتال في طروادة وتوالت الهزائم على الإغريق، أقنع باتروكلوس أخيل أن يعيره درعه ليجدد القتال ويزعج الطرواديين بظهوره في القتال على أنه أخيل. فوافق أخيل وكان النصر حليف باتروكلوس فترة من الزمان قتل خلالها كثيراً من الأبطال ودفع بالطرواديين أمامه في تقهقر.

^{٢٠} أكبر أبناء بريام وهيوكوبا وزوج أندروماخي. قائد الطرواديين في الحرب الطروادية، وأعظم قادتهم ومحاربيهم. حل محل بريام عندما حال كبر سنه دون القيام بإدارة شؤون الدولة. أتى ذكره في الإلياذة كمحارب شجاع وبطل صنيدي صبور.

^{٢١} ملك طروادة العجوز إبان الحرب الطروادية. تزوج هيوكوبا فأنجبت أولاً هكتور، ثم حلمت قبل أن تلد ابنها الثاني باريس Paris أنها ولدت جذوة نار. ففسر أيساكوس الحلم بأن باريس سيكون سبباً في دمار طروادة، فأرسله بريام إلى هلاكه، ولكن باريس اكتشف فيما بعد أصل أبويه وعاد ليعيش من جديد مع عائلته.

الرئيسي في كل هذه المسرحيات هو بطل الإلياذة، الذي تسابق أيسخولوس مع هوميروس، فرأى فيه شخصية تراجيدية حقيقية. وفي مسرحية «وزن الأرواح Psychostasia»، ظهر زوس Zeus^{٢٢} نفسه على خشبة المسرح ممسكاً بميزان، من فوق، في إحدى كفتيه روح أخيل وفي الكفة الأخرى روح ميمنون Memnon^{٢٣} (ولم يحدث قط في هوميروس أن وقعت عين إنسان على زوس)، بينما ترجو كلٌّ من ثيتيس Thetis^{٢٤} وأورورا Aurora^{٢٥} عطف زوس من أجل ابنها. أما «صعود الأرواح Psychagogoi» و«بنيلوبي Penelope» و«جامعو العظام Ostologoi» و«كيركي Circe» فتتناول استدعاء الأرواح من هاديس Hades^{٢٦} بواسطة تايريسياس Teiresias^{٢٧} ومغامرات أوديسيوس، وموته. ووجدت موضوعات طروادية أخرى مكاناً في مسرحية «الموسيانون والتليفوس Mysians and the Telephus» وفي «بالاميديس Palamedes» وفي «فيلوقراطيس Philocrates».

تحتل أساطير أرجوس Argos مكاناً بالغ الأهمية في المؤلفات الباقية. فأولاً؛ توجد مجموعتان رباعيتان، تتكون إحداهما من «المتضرعات» و«المصريون» و«الدانائيات» لما قبل التاريخ، مع المسرحية الساتورية «أموموني Amymone»؛ وتتكون الأخرى من «أجاممنون» و«حاملات القرابين» و«يومينديس»، مع المسرحية الساتورية «بروتوس Proteus». كذلك لمسرحيتي «بروميثيوس» و«السبعة ضد طيبة» علاقة بأرجوس. كما توجد مجموعة تتناول قصة بيرسيوس Perseus، وتتكون من «نيميا Nemea» و«الأرجوسيون Argives» و«الإليوسينيون Eleusinians» و«ساحبو الشبكة Net-Dragers» و«السيريفيون Seriphians» و«فوركيديس Phorcides».

^{٢٢} رب الأرباب والبشر. كان يصور في هيئة ذات رهبة وجلال، له خصلات مناسبة ولحية كثة، كانت هيبي من خدمه وهيرميس رسوله الأمين الذي ينقل أحكامه وأوامره في لمح البصر إلى أقاصي الأرض.

^{٢٣} ملك إيثيوبيا. كان أخوه قد اغتصب العرش منه ولكن هرقل أعاده إليه. ذهب بعد موت هكتور لمساعدة بريام.

^{٢٤} ابنة نيريس ودوريس، ربة البحر، قامت هيرا، زوجة زوس بتربيتها وتزوجت بيليوس الذي كان بشراً فأنجبت منه أخيل العتيد.

^{٢٥} اسم روماني لإيوس، ربة الفجر ووالدة الرياح والنجوم وبالأخص نجم الصباح.

^{٢٦} أي الخفي. هو ابن كرونوس وشقيق زوس وبوسايدون وهيرا. كان ينظر إليه كإله يحكم عالم الأموات مجرداً من الشفقة نحو سائر المخلوقات. هو عنوان الخوف والبغضاء عند البشر.

^{٢٧} طيبى المولد، ومن أشهر المنجمين والعرافين الذائعي الصيت ووالد ابنة واحدة تدعى ماننتو.

توجد أساطير طيبة في الأوديبية («لايوس Laius» و«أوديبوس Oedipus» و«السبعة ضد طيبة» و«سفنكس Sphinx»)، وفي ثلاث تراجديات تتناول موضوعات تتعلق بطقوس عبادة ديونيسوس العريضية. وكانت أهم هذه المسرحيات، هي: اللوكورجية Lycurgea، وتتكون من «إدنوي Ednoi» و«باساراي Bassarae» و«نيانيسكوي Neaniskoi» و«لوكورجوس Lucurgus»؛ وتتناول القتال (وربما الصلح) من أجل ديانة أبولو — ديونيسوس، وديانة أبولو — هيليوس، وبطلها أورفيوس Orpheus. وهذه تشبه في موضوعها مسرحيات: «مربيات ديونيسوس Nurses of Dionysus» و«الباكخانتيس Bacchants» و«كسانترياي Xantriae» و«بنثيوس Pentheus» و«سيميلي Semele» و«ألكميني Alcmena». وكذلك «الهرقليديي Heracleidae» من الدائرة الطيبية. وتتناول موضوعات أسطورية أخرى قصة بحارة سفينة الأرجو Argonauts،^{٢٨} وأجاكس Ajax،^{٢٩} والمباراة من أجل أسلحة أخيل، وصيد الخنزير الكالودوني Calydonian Boar Hunt وأوريثويا Oreithyia ونيوبي Niobe، وغير هذه ... جمع أيسخولوس الأساطير الموجودة في عصره من مناطق خارج أتيكا، من أفواه الناس، وحاكها في «نساء إتنا» و«جلاوكوس البحري Glaucus of the Sea». وأكثر ما يميز هذا الشاعر عن لاحقيه، تفضيله الأساطير قبل الهيلينية ولا سيما للموضوعات فوق البشرية، فانجذب بدرجة عجيبة إلى قصة ولادة ديونيسوس ومجيء عبادته إلى تراقية وطيبة. وما كان لخياله أن يسرح إلا في مملكة الضخم والعجيب والمدهش — في «بروميثيوس» وبطلها أحد التيتان، وفي «صعود الأرواح»، وفي «وزن الأرواح» وفي «العذراوات النبالات Toxotides». وصور الإثم والعقاب في «أكتايون Actaeon»، وصور الهاربيات Harpies^{٣٠} يلوثن طعام البطل في «فينيوس Pheneus»، وصور فايثون Phaethon^{٣١} في «الهلبيديس Heliades»

^{٢٨} هم أبطال الإغريق الذين ذهبوا مع جاسون Jason للبحث عن الجزة الذهبية. ولقد كانوا خمسين بطلاً من بينهم كثير من الأبطال المشهورين مثل هرقل وكاستور وثيسبيوس ونسطور وأورفيوس.

^{٢٩} ابن ملك سلاميس. أحد القواد الإغريق الذين حاربوا في طروادة. وكان يلي أخيل في المرتبة. أتى بمعجزات هي آية في الشجاعة والقوة. كانت رعى القتال تدور حول جسد باتروكلوس، فاستطاع أخيراً أن يحصل عليه ويحملة إلى أخيل.

^{٣٠} كانت «الهاربيات» بنات ثاوماس وحورية البحر إلكترا. كن يُوصفن كمخلوقات مخيفة جائعة لها أجسام وأجنحة ومخالب طيور ورعوس عذاري.

^{٣١} ابن هيليوس، إله الشمس. ذهب إلى قصر الشمس وطلب من أبيه الحق في قيادة عربة الشمس ليوم واحد ليبرهن للناس على حقيقة ميلاده. كاد يتسبب في حرق الأرض لو لم يصبه زوس بصاعقة من

يسوق جياذ رب الشمس إلى هلاكها. ولم يتورع هذا الشاعر في «كسانترياي Xantriae» عن أن يقدم ملكة السماء في زي كاهنة. ويبدو أنه كان مولعًا بمخلوقات البحر، مثل: جلاوكوس، وبنات أوقيان Ocean، وبنات فوركوس Phorcys. لم يقنع أيسخولوس بالأرض مكانًا للفعل التراجيدي، فجعل مشهد «وزن الأرواح» في أوليمبوس، ومشهد «سيسوفوس Sisyphus» في هاديس. كثيرًا ما قيد لاحقوه ظهور الآلهة وقصروه على عالم البشر.

يبدو أن أشهر المسرحيات التي عُثر عليها كسرًا ولا تتصل بالمسرحيات الباقية هي: «أوروبا»، والمجموعة الثلاثية المكونة من «المورميون» و«النيريدات» و«افتداء هكتور» و«اللوكورجيا» و«فيلوقراطيس»، و«وزن الأرواح» و«نيوبي».

عرضت مسرحية «الفرس» في سنة ٤٧٢ ق.م. والسبعة ضد طيبة في سنة ٤٦٧ ق.م. و«الأوريستيا» في سنة ٤٥٨ ق.م. ولأسباب داخلية يمكن وضع مسرحية «العذراوات المتضرعات Suppliant Maidens» قبل أول انتصار لهذا الشاعر (في سنة ٤٨٤ ق.م.) و«بروميثيوس» إما بين «الفرس» و«السبعة ضد طيبة» أو بين «السبعة ضد طيبة» و«الأوريستيا».

صواعقه فقتله. حزنّت عليه أخواته حزنًا شديدًا وأخذن يبكين بشدة حتى تحولن إلى أشجار زان كما تحولت دموعهن إلى كهربان.

حَامِلَات القَرَابِين

(عن اليونانية القديمة)

ملخص المسرحية

بعد أن قَتلت الملكة كلوتايمسترا زوجها أجاممنون، اعتلت هي ومعشوقها أيجيستوس عرش أرجوس Argos. بيد أن روح سيدها المقتول كانت غاضبة، فأرسلت إليها حلمًا مفزعًا ليزعج روحها في نومها. رأت الملكة، فيما يرى النائم، أنها ولدت أفعى وأرضعتها كما لو كانت طفلًا. غير أن تلك المخلوقة المهلكة كانت ترضع مع لبن الأم دمًا متخثرًا من ثديها. فاستيقظت من نومها وهي تصرخ ملتاعة. ولما فسر عرافو البيت هذه الرؤيا بأنها علامة على غضب القوى السفلى، أمرت الملكة ابنتها إلكترا وخادماتها بأن يحملن القرابين إلى قبر أجاممنون، عسى أن تصالح روحه الغاضبة.

كانت الأميرة إلكترا تعيش في القصر، ولكنها ما كانت تعامل أكثر من معاملة الإماء. وقبل مقتل أجاممنون، أرسل شقيقها الأمير أوريسستيس ليقيم مع عمه ستروفيفوس Strophius في مملكة فوكيس Phocis البعيدة، حيث كبر وترعرع وبلغ مبالغ الرجولة. وفي نفس ذلك اليوم الذي أرادت فيه والدته أن تدرأ عنها شر طالع ذلك الحلم، سحب أوريسستيس ابن عمه بولاديس وذهب إلى أرجوس ليثأر لقتل والده. وضع أوريسستيس خصلة من شعره فوق قبر أجاممنون. فلما أبصرتها إلكترا تأكدت بأنها تقدمت للموتى لم يقدمها أحد سوى أخيها، أما أوريسستيس فتعرّف على أخته بثياب

الحداد التي كانت ترتديها. بيد أنها لم تتأكد منه إلا بعد أن ترى أدلة أخرى معززة بالعلامات أو بالتذكارات.

أعلن أوريسيتيس أن الآلهة أوفدته لغرض الانتقام. فقد أمره الرب أبولو^١ نفسه، بعد أن هدّده بأنه إذا لم يطع أمره فسيبعث إليه بإرينويس^٢ والده (ربات الانتقام) لتهاجمه، ويُطرَد ملعونًا من مساكن البشر ومن مذابح الآلهة، إلى أن يهلك سقيم العقل والجسم.

اجتمع الأخ وأخته عند قبر أبيهما. يساعدهما كوروس صديق يعرض عليهما معونته في قضيتهما العادلة. فتنكر أوريسيتيس وبولاديس في زي السياح الفوكيين، وذهبا إلى كلوتايسترا، فرحبت بهما وأكرمتهما بعد أن أخبراها بأن ابنها قد مات. فأرسلت الملكة مربية أوريسيتيس العجوز لتستدعي أيجيستوس من الخارج بأن يأتي إليها مع حرسه الخاص. فأوعز إليها الكوروس بتحريف رسالتها بأن تطلب منه الحضور في غير ما حراسة. فلما جاء قُتِل وقُتلت كلوتايسترا بعده مباشرة، وقد أصم ابنها أذنيه عن توسلاتها لكي يرحمها.

قدم أوريسيتيس الثوب الملوث بالدماء، الذي «تعثر» فيه والده عند مصرعه، كدليل على عدالة فعلته. بيد أن عقله بدأ يشرد، إذ ظهرت أمام بصره إرينويس أمه، دون أن يراها أحد غيره؛ ولذا اندفع خارجًا مبتعدًا عن مسرح القتل.

شخصيات المسرحية

- أوريسيتيس Orestes.
- كوروس من الإماء.
- إلكترا Electra.

^١ أحد آلهة الإغريق الكبار. وهو رب الشمس والتنبؤ والشعر والموسيقى، ورب الشفاء والطهارة. ومؤسس المدن والمستعمرات، وإله الشباب الفتى.

^٢ هن ربات الانتقام، وبنات جيا (الأرض) من دماء أورانوس (السماء) وعددهن ثلاث أليكتو وتيسيفوني وميجايرا. يصورن كعذارى مجنحات لهن شعور من الثعابين، تحيط بأجسادهن الأفعوانات ويحملن المشاعل والسياط والمناجل ويتدثرن دائمًا بملابس الصيادين، ويعاقبن بقسوة من يكسر ويحطم العلاقات العائلية الطبيعية وقوانين الضيافة والقتل والكبرياء الزائدة عن الحد.

- خادم.
- كلوتايسترا Clytaemestra.
- بولاديس Pylades.
- مربية.
- أيجيستوس Aegisthus.

المنظر: أرجوس.

الزمن: عصر الأبطال.

التاريخ: سنة ٤٥٨ ق.م. بمدينة ديونيسيا.

* * *

(المنظر: قبر أجاممنون، يدخل أوريسيتيس وبولاديس.)

أوريسيتيس: أي هيرميس العالم السفلي. أنت يا من تحرس القوى التي لوالدك.^٢
كن مُخْلِصِي وحليفي؛ أتوسل إليك الآن إذ أتيت إلى هذه الأرض وأنا عائد من منفائي إلى الوطن. إنني أبكي على هذا القبر المكوم لكي يسمعني والدي، ويعيرني أذنًا صاغية ...
ها أنا ذا أحضر خصلة شعر لإناخوس Inachus،^٤ في مقابل تغذيتي، وها هي خصلة
أخرى علامة على حزني.
هذا لأنني لم أكن موجودًا، يا أباي، لأبكي على موتك، كما أنني لم أمد يدي إلى جثتك
لتُحمل وتُدفن.

ما هذا الذي أرى؟ هل لي أن أعزو هذا إلى ما حدث؟ أهو حزن جديد حل ببيتنا؟
أو هل أنا مصيب في حدسي بأنهن يحملن هذه القرابين تكريمًا لوالدي، لمصالحة القوى
السفلى؟ لا يمكن أن يكون إلا لهذا الغرض؛ إذ أعتقد أن هذه حقًا شقيقتي إلكترا، التي

^٢ كانوا يتوسلون إلى هيرميس بصفته: (أولًا) أحد آلهة العالم السفلي لأنه «مرشد الأرواح» والرسول بين آلهة السماء وآلهة الجحيم، وبذا يستطيع أن ينقل توسلات أوريسيتيس إلى حكام الموتى وإلى روح والده؛ (ثانيًا) مشرفًا على القوى التي عهد بها إليه والده زوس المخلص.

^٤ قدم أوريسيتيس خصلة من شعره لتكريم إناخوس، رب النهر الذي يجري في أرجوس؛ لأن الأنهار كانت تُعبَد على أنها واهبة الحياة.

تتقدم هناك ظاهرة من بين سائر الباقيات، في ثياب الحداد المريرة. أي زوس، امنحني أن أنتقم لموت والدي، وأعرف مساعدتك بنعمتك!
فلنقف مفترقين، يا بولاديس، حتى أستطيع أن أعلم يقيناً خبر جماعة النساء المتضرعات هذه.

(يخرج أوريستيس وبولاديس.)

(تدخل إلكترا مع نسوة يحملن القرايين.)

الكوروس: لما أرسلت من القصر، جئت أحمل القرايين بمصاحبة الضربات النازلة على يدي في جدية وسرعة. وها هو ذا خدي يحمل طابع الجروح الدامية حيث حفرت أظفاري شقوقاً جديدة — ومع ذلك، فطوال حياتي قلبي مفعم بالأحزان. رن صوت التمزيق عالياً على نغم اللطحات المحزنة وهي تمزق صدريتي المصنوعة من التيل المنسوج حيث يغطي صدري ثوب مضروب بسبب الحظ، الغريب على كل ضحك.
بينما أنا كذلك إذ بصوت مجلجل أوقف كل شعرة على طرفها. فقد أطلقت القوة الموحية التي تنتبأ لهذا البيت عن طريق الأحلام بصوت الغضب أثناء النوم، أطلقت صرخة فزع وسط سكون الليل البهيم، ارتفعت من أبعد حجرة في الداخل، فوقعت ثقيلة على مقصورة النساء،[°] وقام مفسرو الأحلام الشبيهة بهذا الحلم، ففسروا مشيئة السماء المرتبطة بعهد؛ فقررُوا أن مَنْ تحت الأرض يشكون في غضب مرير، وأنهم غاضبون ضد القتلة.

ولكي تدرأ شر هذه البركة غير المباركة (وا أماء الأرض!) أرسلتني تلك التي لا آلهة لها. غير أنني أخاف أن أنطق بالألفاظ التي أمرتني بأن أقولها؛ إذ أي تكفير هنا للدم إذا ما أريق على الأرض؟ أوّاه، يا وطيس الحزن الشديد! أوّاه، أيها البيت الواقع في الدمار! تلفُّ البيت الآن ظلّمة لا تنيرها الشمس، ويمقتها البشر، إذ قُتِل سيد هذا البيت.

[°] وضعت لغة هذه الفقرة بحيث تتضمن غرضين:

(أ) لتدل على فقرة تكهنية من جانب الكاهنة الموحى إليها في دلفي Delphi. (ب) لتبين طبيعة حلم كلوتايمسترا المفزع، بينما توضح الفرق بين الغرضين بعض التعبيرات المحدودة. فاستعمل «فويبوس Phoebus» للدلالة على وحي تَنبئِي يهاجم كلوتايمسترا في هيئة كابوس.

ليس بُمُكْنَة أي فردٍ أن يتخيَّل رهبة عظمتك، ولا أحد يستطيع مقاومتها، ولا بمقدور أي مخلوق أن يلطف من حداثها، تلك التي اخترقت آذان الجميع وقلوبهم، قد أُطلقت الآن، بيِّدُ أن البشر يحسون بالخوف. لأن النجاح يبدو في عيون الناس إلهاً بل وأكثر من إله. ولكن ميزان العدالة المتزن ساهم على المراقبة؛ فيسقط بسرعة على بعض الذين لا يزالون واقفين في الضوء؛ وأحياناً تنتظر الأحران المثلثة في شفق جوار الحياة، ويلف البعض ليل واهن.

وإذ شربت الأرض المغذية، كفايتها من الدم، بقيت الدماء المنتقمة متخثرة ولن تذوب. تجتاح الكارثة روح الرجل المذنب وتشرذ ذهنه حتى ليغرق في البؤس التام والكامل. لا علاج لمن يعتدي على مخدع العروس. فرغم سريان جميع المجاري في تيار واحد لتطهير الدم من يد ملوثة، فإنها تسرع في طريقها بغير فائدة.

أما أنا، فيما أن الألهة أحاطت مدينتي بمصير محتوم (إذ ساقوني بعد بيت أبي إلى مصير الرق) يهدف، ضد إرادتي، إلى قهر عداوتي المريرة ويستسلم إلى نصح سادتي — سواء أكان ذلك النصح عادلاً أو غير عادل. ومع ذلك، فمن وراء خماري، وقد تجمد قلبي من الحزن الدفين، أبكي أفعال سيدي الخبيثة.

إلكترا: أيتها العذراوات اللواتي تأمرن، بعدل، بهموم هذه الأسرة، بما أنكن حاضرات هنا للإشراف عليّ في طقوس التضرع هذه، فأسديني إليّ نصيحتك فيما يختص بهذا الأمر: ماذا أقول وأنا أسكب تقدمات الحزن هذه؟ كيف لي أن أجد ألفاظاً مباركة، وكيف أنطق بالصلاة إلى أبي؟ هل أقول إنني أحضرت هذه القرابين إلى زوج محبوب، من زوجة محبة — من تلك التي هي والدتي؟ — لست أملك الدليل الأكيد على هذا، ولا أعرف الألفاظ التي يجب أن أقولها وأنا أصب هذه السكبية على قبر والدي. أو هل أقول الكلام، الذي اعتاد الرجال أن يقولوه. حتى يعود بالخير على من أرسل هذه القرابين الجنائزية — وهي، في الحقيقة، هدية تعادل شرمهم؟^٦

أو هل أتقدم، في سكون وعدم احترام، بنفس الطريقة التي هلك بها والدي، لأسكبها على الأرض لتشربها، ثم أعود أدراجي، كمن تحمل فضلات الطقوس، فأطوح بالآنية بعينين مبتعدتين؟

^٦ استعريض عن كلمة «خيرهم» باللفظ «شرهم». والسؤال هنا تهكمي؛ إذ من الطبيعي أن يرد الإغريق على الشر بالشر.

هيا، يا صديقاتي، وكن الزميلات الناصحات لي؛ إذ نشترك جميعًا في العداوة التي نكُنُّها في داخل البيت. لا تكتمن النصيح في قلوبكن خوفًا من أي فرد، فإن ساعة المصير تنتظر كلًّا من الحر ومن صار عبدًا بقوة غيره، على حدِّ سواء. فإذا كانت لديكن وسيلة أفضل فتكلَّمُن!

الكوروس: احترامًا لقبر والدك، كما لو كان مذبحًا، سأنطق بما يساور أفكارني الداخلية، طالما قد أمرتني بذلك.

إكترا: تكلمي كما لو كان عندك احترام لقبر والدي.

الكوروس: تكلمي بألفاظ مليئة بالخير للقلوب المخلصة، وأنت تسكينين.

إكترا: وأذكر اسم مَنْ مِنْ بَيْن هؤلاء القريبين مني؟

الكوروس: اسمك أولًا، ثم اسم كل من يمقت أيجيستوس.

إكترا: إذن فهل أقول هذه الصلاة لنفسني ثم لك أيضًا؟

الكوروس: الأمر موكل إليك، فاستخدمي حكمك. هيا قرري بنفسك.

إكترا: مَنْ غيرنا، إذن، لأضيفه إلى جماعتنا؟

الكوروس: لا تنسي أوريستيس، رغم كونه لا يزال بعيدًا عن وطنه.

إكترا: حسنا قلت! لقد نصحتني خير نصيح.

الكوروس: والآن من أجل القتلة المذنبين، بفكر منتبه ...

إكترا: بم أصلي؟ علميني، اذكري لي الصيغة.

الكوروس: أن ينزل عليهما شخص ما، إله أو إنسان ...

إكترا: أتقصد أن ينزل حكمًا أو منتقمًا؟

الكوروس: قولي في عبارات بسيطة: «مَنْ يأخذ روحًا نظير روح».

إكترا: وهل هذا شيء عادل يحق لي أن أطلبه من السماء؟

الكوروس: عادل؟ وكيف لا يكون عادلًا؟ أن تجازي العدو شرًا بشرًا!

إكترا: أيها الرسول الأعظم بين العالم العلوي والعالم السفلي، يا هيرميس العالم

السفلي، هيا إلى معونتي، واستدع لي الأرواح التي تحت الأرض كي تصغي إلى صلاتي، الأرواح التي تسهر على مراقبة منزل والدي. نعم، والأرض نفسها، التي ولدت جميع الأشياء، وإذ قامت بتغذيتهم وتربيتهم، فهي تنال الزيادة في مقابل ذلك. وهل، وأنا أصب

هذه القرابين المطهرة للموتى، أتوسل إلى والدي، فأقول صلاتي هكذا: «رحماك بي، أنا وعزيزي أوريسستيس! كيف نكون سادة في أملاكنا؟ إذ نحن مشردون الآن كما لو كانت قد باعتنا بالمقايضة، تلك التي ولدتنا، تلك التي اشتريت بنا أيجيسثوس رفيقها، ذلك الذي كان زميلها في قتلك. أما عن نفسي فلست خيراً من عبدة، وأما عن أوريسستيس، فهو منبوذ مطرود من أملاكه، بينما ينعمان في شجاعة ووقاحة زهوهما، بما ربحته بكذك. وهل لأوريسستيس أن يعود إلى الوطن — وبحظ سعيد! هذه صلاتي لك، فاستمع إليها، يا والدي. وأما لنفسي فامنحني أن أبرهن في قلبي على عفة أكثر، أكثر بكثير من والدي، وعلى يد أكثر براءة.»

أرجو بهذه التوسلات عن أنفسنا. أما من أجل أعدائنا، أن يظهر مَن يثار لك، يا والدي، وأن يقتل قاتليك جزاءً وفاقاً. (هكذا أتوقف في صلاتي للخير، من أجل الذين ينطقون بها للشتر)، ولكن كن لنا جالب النعم إلى العالم العلوي بمعونة الآلهة والأرض والعدالة المتوجة بالنصر.»

(تصب السكائب.)

هذه هي صلاتي، وأصب فوقها هذه السكائب. ومن واجبك أن تتوجنها بزهور النحيب، رافعات أصواتكن بأنشودة للموتى.

الكوروس: اذرفي دموعك منتحبةً من أجل سيدنا الصريع. ولتصحب هذه الوقاية من الشر — وهذا يعني أن تبعد عن الأخيار التلوث المقيت للقرابين المسكوبة.^٧
أصغ إليّ، أصغ إليّ، يا سيدي العظيم! بروحك التي يلفها الظلام.^٨
الويل، الويل، الويل! يا لرجل قوي برمح ينقذ هذا البيت، رجل ماهر في فنون الحرب، يشهر القوس في معمعان المعركة السكوثية Scythian، ويستخدم سيفه ذا المقبض في اشتباك قريب!

(بعد آخر عبارات الكوروس، تكتشف إكثرا خصلة الشعر.)

^٧ هناك قراءة أخرى ... «سيدنا الصريع على هذا الحاجز المانع للشتر والخير (أي القبر)، لتمنع التلوث للعين إذ قد صبت السكائب الآن.»

^٨ أو قد يعني اللفظ اليوناني «ضعيف» أو «عاجز» لإيجاد فرق بين روح الميت وروح الحي.

إلكترا: ها قد تسلم والدي السكائب التي شربتها الأرض، ولكن ها هي أخبار محيرة! اشتركن معي فيها.

الكوروس: تكلمي — ومع ذلك، فإن قلبي يرقص خوفاً.

إلكترا: أرى خصلة شعر هنا، تقدمة قصت لأجل القبر.

الكوروس: خصلة من يمكن أن تكون هذه — أهي لرجل ما، أو لفتاة مشدودة الزنار؟

إلكترا: هذا سهل التخمين؛ فبوسع أي فرد أن يخمن.

الكوروس: وكيف إذن؟ فلتتعلم شيخوختي من شبابك.

إلكترا: ما من أحد يمكن أن يقصها غير ... نفسي.

الكوروس: نعم، إذ الأعداء هم الأولى بأن يقدموا مثل هذه التقدمة المحزنة من شعرهم.

إلكترا: وزيادة على ذلك، فلو نظرنا إليها، فهي تشبه تمامًا ...

الكوروس: خصلات شعر من؟ هذا ما أرجو معرفته.

إلكترا: شعرنا — نعم، تشبهه جداً، إذا ما نظرنا إليها.

الكوروس: أيمن أن يكون أوريسستيس هو الذي قدمها هنا سرّاً؟

إلكترا: تشبه هذه الخصلة خصلات شعره المتموجة، أكثر من أي شعر آخر.

الكوروس: ولكن كيف تجاسر على المجيء إلى هنا؟

إلكترا: لا بد أنه أرسل خصلته بعد أن قصها ليكرم بها والده.

الكوروس: إن في ألفاظك لسبباً أعظم للدموع، إذا لم يطأ بقدمه هذه الأرض بعد ذلك.

إلكترا: إن موجة من المرارة لتجتاح قلبي أيضاً، وقد ضربت كما لو طُعنَت بسيف

فاخترق جسمي مرة ومرة. تنحدر من عيني قطرات ظمأى، من فيضان عاصف. تنحدر

من تلقاء نفسها لا يمنعا مانع عند مرأى هذه الخصلات. إذ، كيف لي أن أتوقع العثور

على شخص آخر، رجل من المدينة تكون له هذه الخصلة؟ والحقيقة أنها لم تقصها من

رأسها — تلك القاتلة، والدتي، التي اتخذت لنفسها إزاء أولادها روحاً لا آلهة لها، تلك

التي مُنحت بغير حق اسم الأم. أما من جهتي، فكيف لي أن أرضى بهذا الحق على الفور —

فهل كانت تزين رأس ذلك الأعز على نفسي، في العالم كله، أوريسستيس؟ كلا، فالأمل إنما

يتملقني.

ويحي! آه لو كانت ذات صوت رقيقٍ كأنها رسول يخبرني، حتى لا تتقاذفني الهواجس — بل تأمرني في وضوح بأن أطرح هذه الخصلة بعيدًا لو كانت مقطوعة من رأس ممقوت؛ أو إذا كانت لقريب لي، فلتشاركني حزني، فإن تزيين هذا القبر جزية لوالدي.

يبدو أن السماء التي نتوسل إليها تعرف أية تيارات تدفعنا كالرجال في البحر. ومع ذلك، فلو قُدر لنا النجاة، فمن بذرة صغيرة قد تنمو مادة عاتية.

انظرن! ما هذا؟ هنا أثر — دليل ثان — أثر أقدام، كل منها مطابق للآخر — وتشبه آثار أقدامي! لأن هنا نوعين من آثار الأقدام. آثار أقدامه، وآثار أقدام رفيق له. تتفق الأعقاب والأمشاط في نسبها مع آثار أقدامي. إنني أقاسي عذابًا ذهني في دوامة!

(يدخل أوريستيس.)

أوريستيس: أعلنني إلى السماء استجابة طلباتك وصلواتك، وصليّ لكي يحالفك النجاح في المستقبل.

إلكترا: كيف هذا؟ من أين نلت النجاح بنعمة السماء!

أوريستيس: لقد أبصرت من ظلمتٍ مدة طويلة تطلبين رؤيته.

إلكترا: ومن من الرجال تعرف أنني كنت أطلب؟

أوريستيس: أعرف أنك تحبين أوريستيس حبًا جمًّا.

إلكترا: وأين، إذن، وجدت استجابة صلاتي؟

أوريستيس: ها أنا ذا. لا تبحني عن صديق أقرب مني.

إلكترا: كلا، ومن المؤكد، يا سيدي، أنك تنصب لي شرًّا ما.

أوريستيس: إذا كان الأمر كذلك، فأنا أحيك المكائد لنفسني.

إلكترا: كلا، بل إنك تتوق إلى السخرية من مصائبني.

أوريستيس: لو سخرت من مصائبك حقًّا، فإنما أنا أسخر من مصائبني أيضًا.

إلكترا: إذن فهل أنا أحاطبك كما لو كنت أوريستيس حقًّا؟

أوريستيس: كلا، فحتى إن رأيت فيّ نفس شخصه، فأنت بطيئة المعرفة، ومع ذلك، فممن أن رأيت خصلة الحداد المقصوفة هذه، وفحصت آثار الأقدام، اتخذت أفكارك أجنحة السرعة لتدرك أنني هو من ترين. أعيدي خصلة الشعر إلى الموضع الذي قُصت

منه — خصلة شعر شقيقك. ولاحظي كيف تتفق وشعر رأسي. ثم انظري قطعة المنسوج هذه التي نسجتها يدك، ذات الخطوط المستعرضة والمزخرفة بصور الحيوانات. تمالكي نفسك! لا يذهلك الفرح! لأنني أعلم أن أقرب أقربائنا أعداء لكليتنا.

إلكترا: أوَاه، يا أعظم محبوب من بيت والدك، وأمل ذلك البيت في البذرة المنقذة، والمشتاق إليه بالدموع. ثق بجراتك تحظّ ثانية ببيت والدك. إن وجودك المحبوب لِينالُ أربعة أجزاء من حبي؛ إذ يجب عليّ أن أدعوك أبًا، ولك الحب الذي كان يجب أن أكنّه لأمي — تلك التي أمقتها بحق أكثر من كل من سواها — والمحبة التي كنت أحملها لأختي، التي راحت ضحية ذبيحة معدومة الرحمة، وكأخ كنت الحائز على ثقتي، والفائز باحترامي دائمًا، أنت وحدك. هل لـ «القوة» و«العدالة» و«زوس» الثالث^٩ السامي فوق الجميع، أن يُعيروك مساعدتهم!

أوريستيس: أي زوس، أي زوس، انظر إلى قضيتنا! انظر إلى ذرية يُتمت لأب نسر هلك وسط فتحات شبكة — نعم في حباتل — أفعى جبارة عاتية. إنهم يُتموا تمام اليتيم، وقبض عليهم قحط الجوع؛ لأنهم لم يبلغوا بعد في نموهم مبلغ القوة الكاملة التي تمكنهم من إحضار بغية أبيهم إلى العرش. فهكذا تراني، أنا وإلكترا المسكينة، هنا — طفلين فقدوا أباهما، طريدين من بيتنا، على حد سواء. فإذا أهلكت هذه الذرية التي لأب قدم لك الذبائح، وقام بأسمى فروض العبادة، فمن يد من مثل يده تتسلم طاعة الولائم الفاخرة؟ إذا أهلكت نسل ذلك النسر، فلا ترسل منذ الآن علامات تصدقها البشرية؛ وإذا ذُبلت هذه الذرية الملكية، فلن تفيد مذابحك في أيام ذبائح الثيران. تبئ هذه الذرية، ترفع بيتاً من دركات الحضيض إلى أسمى درجات الرفعة والسؤدد، رغم كونه يبدو الآن مندثرًا تمام الاندثار.

الكوروس: أيها الطفلان، يا منقذا وطييس أبيكما؛ لا تتكلما بصوت عالٍ هكذا، يا هذان الطفلان العزيزان، لئلا يسمعكما شخص ما، ولمجرد الرغبة في الكلام، ينقل كل حديثكما لسيدينا، عساني أراهما يومًا ما ميتين وسط دخان اللهب القاتم!

أوريستيس: من المؤكد أن الوحي العظيم القوة، وحي لوكسياس Loxias، لن يتخلّى عني؛ إذ كلفني بالمضيّ في هذا الخطر إلى النهاية، وقد أعلن في صوت جهوري، عقابًا تتجمد لهوله دماء قلبي الدافئة؛ إن لم أنتقم لوالدي من الآثمين، وأمرني، أنا النائر

^٩ زوس الثالث؛ لأن العدد الكلي القوة في الأسرار الدينية هو العدد ثلاثة. زوس الثالث هو زوس المخلص.

لفقد أملاكه،^{١٠} بأن أقتلهما كما قتلا. وقرر أنني إن لم أفعل ذلك سدت الدين بحياتي وبكثير من الآلات المحزنة. لأنه تكلم مبيناً للبشر غضب القوى الخبيثة بعالم ما تحت الأرض، وذاكرًا أويئة طاعونية وقروحًا جذامية تعلو فوق لحم الناس بمخالب وحشية فتأكل مادته الأولية، وكيف يتدفق من هذا المرض زغب أبيض.^{١١} كما ذكر هجمات أخرى للأرواح المنتقمة، على أن تنحدر من دم الأب إلى ذريته؛ لأن صاعقة قوى الجحيم الداجية، الذين أثارتهم الضحايا المقتولة من جنس الأقارب تطلب الثأر، وتخرج المخاوف التي لا أساس لها والجنون، من الليل فتعذب وتربك الإنسان الذي يرى بوضوح، ولو أنه يحرك حاجبيه في الظلام،^{١٢} حتى يغدو جسمه مشوهًا بفعل السياط النحاسية، ويُطارَد حتى ولو كان منفيًا عن وطنه. قرر الإله ألا يسمح لمذنب كهذا بأن يشترك في طاس الوليمة ولا في الشراب المبهج، ويحول غضب والده بينه وبين المذبح، رغم كونه^{١٣} غير مرئي؛ كما لا يستقبله أي إنسان أو يعيش معه. وأخيرًا بعد أن يحتقره الجميع ولا يجد صديقًا، يهلك بميتة شنيعة تذيب جسمه تمامًا.

أيجب ألا أثق في أي وحي من هذا النوع؟ كلا، فحتى إذا كنت لا أثق فيه فإن الفعلة لا بد أن تتم؛ إذ تتأمر عدة بواعث لغرض واحد. فعلاوة على تكليف الرب هذا، وحزني الشديد على والدي، وألم الفقر — حتى إن مواطني الذين هم أشهر البشر جميعًا، الذين استولوا على طروادة بروح جريئة لا يجب أن يكونوا رهن إشارة جماعة من النساء؛ لأنه في قرارة نفسه ليس سوى امرأة، وإن لم يكن كذلك فسرعان ما يضع نفسه موضع الاختبار.

الكوروس: أيتها الأقدار الجبارة، امنحن، عن طريق قوة زوس، إتمام السداد، حتى إذا ما دارت العدالة، فإنها تصيح بصوت جهوري وهي تحصل الدين، وتنطق كلمة

^{١٠} تُرجمت هذه الفقرة ليكون معناها «الشديد القسوة بالعقوبات التي لا يمكن دفعها نقودًا». أي العقوبات التي تتطلب موت المذنبين الذين لا يستطيعون تقديم فدية نقدية وهكذا تكون تلميحًا للمصطلح wer-gild الدال على التكفير عن الدم في حالة قتل الإنسان، وهو المصطلح الذي كان معروفًا في العصور الهوميرية.

^{١١} يعلو الزغب القروح، وليست المعابد هي التي تتحول ببيضاء.

^{١٢} لا يستطيع أن ينام خوفًا من إيرنويس قريبه المقتول الذي لم يثار له.

^{١٣} أي الغضب.

بغضاء رداً على كلمة بغضاء، وتدفع ضربة قاتلة في مقابل ضربة قاتلة أخرى. ويقول الأمر العجوز، ثلاث مرات: «من يفعل فسيُفعل معه بنفس ما فعل.»
أوريسستيس: أي أبتاه، يا والدي التعيس، بأية كلمة، أو بأي فعل يمكنني الطيران إليك من بعيد حيث يحمل لك مكان راحتك نوراً يتعارض مع ظلامك؟ ومع ذلك، فإنَّ بكاءً جنائزياً يخلد ذكرى الأتريدياي Atreidae^{١٤} الذين كانوا يملكون هذا البيت من قبل، لأحد الطقوس المبهجة.

الكوروس: يا بني، لا يرتاح ضمير الموتى بفك النار الجائعة، ولكنه، فيما بعد، يتهم من أقلقه. للرجل الميت مرثاته لإظهار الرجل المذنب؛ فالبكاء ذو السبب العادل من أجل الآباء ومن أجل الوالدين، إذا ما ارتفع عاليًا وقويًا، أدار البحث في كل جهة.
إلكترا: إذن، فاسمع يا والدي، إذ نبكي بدورنا بدموع غزيرة. إنهما طفلاك كلاهما، اللذان يبكيانك بمرثاة فوق قبرك. لقد لجأ إلى مدفنك كمتوسلين وكمنفيين. ماذا يوجد هنا من الخير، وماذا يخلو من السوء؟ أليس من العبث أن نناضل ضد القدر؟
الكوروس: ومع ذلك، فإذا شاءت السماء حوّلت بكاءنا إلى أصوات ذات نغمة أكثر بهجة. وبدلاً من المرثاة فوق القبر، سترحب أنشودة نصر في داخل الأبهاء بجمع شمل الصديق.^{١٥}

أوريسستيس: أه يا والدي، لو كنت قتلت تحت أسوار إيليوم Ilium مجروحاً برمح لوكياني Lycian! إذن، لتركت شهرة عظيمة لأولادك في أبهائهم، ولأثرت إعجاب الناس بحياتهم في مسيرهم، ولوجدت قبراً في أرض وراء البحر، مرتفعاً عاليًا بالتراب المكوم، ولما تركت عبناً ثقيلاً ينوء بحمله بيتك.

الكوروس: ولرحب بك زملاؤك الذين نالوا شرف القتل، بصفتك حاكماً بالغ العظمة، ومبرراً تحت الأرض، ووزيراً للأقوى؛ للآلهة التي تحكم هناك في العالم السفلي،^{١٦} إذ كنت في حياتك ملكاً عليهم، على أولئك الذين يحكمون بالموت^{١٧} ويمسكون العصا التي يطيعها الجميع.

^{١٤} ابنا أتريوس، أجاممنون ومينيلوس.

^{١٥} المعنى الحرفي هو: «مختلط حديثاً». ولما كانت الصداقة تعقد عند بدئها بكأس محبة، فهكذا سترحب بأوريسستيس كصديق، بعد غيبته الطويلة.

^{١٦} بلوتو Pluto وبروسيريني Proserpine.

^{١٧} كان ملكاً على أولئك الأمراء الذين كان لهم الحق في تقرير الحياة أو الموت لرعاياهم.

إلكترا: كلا، ما كنت أريدك أن تسقط، يا أبي، تحت أسوار طروادة ويكون قبرك بجانب نهر سكاماندر Scamander،^{١٨} وسط الأقوام الآخرين الذين ماتوا بالرمح. بل أفضل أن يُقتل قاتلاك بيد أقاربهما مثلما قتلاك، حتى يعلم أي شخص في بلاد بعيدة، لا يعرف شيئاً عن همومنا الحالية، بمصير الموت الذي أصابهما.

الكوروس: إن أمنيتك، يا بنيتي لأفضل من الذهب، من هذه الوجهة؛ لأن هذا يفوق الثروة العظيمة الطيبة، نعم، بل والنعمة العليا^{١٩} أيضاً، إذ من السهل التمني. ولكن الآن، بما أن صوت هذه الضربة المزدوجة^{٢٠} قد وصل إلى الوطن — فإن لقضيتنا أنصارها تحت الأرض، بينما أيدي الطرف الآخر، رغم كون السلطة له — أولئك الأوغاد — فإنها أيدٍ دنسة. إن الأولاد هم الذين لهم النصر في هذا اليوم!

أوريستيس: اخترق هذا الأرض، ووصل إلى أذنك^{٢١} كما لو كان سهماً. أي زوس، أي زوس، يا من تُرسل من العالم السفلي، للأفعال التهورية الشريرة التي تقترفها أيدي البشر، ترسل لها عقابها الذي طال تأخره، ورغم هذا فإنه سيتم من أجل خاطر أب. ^{٢٢}

الكوروس: عسى أن يكون من نصيبي أن أرفع عقيرتي بصرخة انتصار على ذلك الرجل عندما يُطعن، وعلى تلك المرأة عندما تهلك! لماذا أجهد نفسي لكتمان ما يجول أمام روحي؟ يضرب الغضب ضرباتٍ حادةً فوق قمة قلبي في حقدٍ وكراهية.

إلكترا: ومتى سيُنزل زوس الجبار يده عليهما — ويلي! — ويشق رأسيهما إرباً؟ ليكن للأرض نصيبٌ منهما! وبعد الظلم، أطلب العدل بحق. اسمعي، أيتها الأرض، وأنتم أيها القوى السفلى المبعجلة!

^{١٨} كان سكاماندر ابن أوقيانوس وتيثوس، ورب النهر طرود Troad الذي كان يحمل اسمه. كان «كسانثوس» لقباً للنهر وللإله، كما كان والد تيوكير أول ملوك الطرواديين.

^{١٩} سكان الشمال قوم خرافيون يقيمون فيما وراء «الريح الشمالية» تخيلهم الناس يعيشون مدة أطول، كما كانوا أغنى من غيرهم من البشر.

^{٢٠} «صوت الضربة المزدوجة»: تشير هذه العبارة إلى أن التوسل إلى الميت، وحثه على الانتقام، وضرب الرأس والصدر، وضرب الأرض الشبيه بالتوسل للموتى، كل هذه يقصد بها إثارة القوى السفلى، فالضربة «مزدوجة» لأن القائمين بها هم الطفلان والكوروس.

^{٢١} أذن أجاممنون.

^{٢٢} يعبر بهذا عن صلته غير المنطوقة، وهي «أقتل أُمي».

الكوروس: كلا، فإنها القاعدة الأبديّة التي تجعل الدم المراق على الأرض يطلب دمًا آخر. يصرخ القتل بصوت عالٍ على روح الانتقام التي تجلب، من أجل من سبق قتلهم، دمارًا على آخرين.

أوريستيس: يا للحسرة، يا قوَى العالم السفلي الملكية، إنكم ترون لعنات المقتولين العاتية، ترون بقايا أسرة أتريوس Atreus^{٢٣} في حالتهم العاجزة، ترونهم يُطردون من بيت لبيت في عار وخزي. فإلى أي طريق نتجه، يا زوس؟

الكوروس: إن قلبي لِيخفق ثانيةً وأنا أسمع هذه الشكوى المحزنة. سرعان ما أخلو من الأمل وتقتتم كليتي لسماح هذه الألفاظ، حتى إذا ما حداني الأمل فشجعني وقواني، ذهب بمحتني، أتياً عليّ في نور ساطع.

إلكترا: عن أي شيء نتوسل بحق أكثر مما نتوسل من أجل المحنات التي قاسيناها، حتى من تلك التي ولدتنا؟ قد تتملقنا، ولكن تملقها لا ينفع في تهدئتنا، إذ لا يمكن تلطيف كراهيتنا لوالدتنا، لأنها أشبه بذئب وحشي القلب.

الكوروس: أطم صدري^{٢٤} بمرثاة آرية^{٢٥} Arian تبعاً لعادة المرأة الكيسانية Cissian^{٢٦} المنتحبة بضربات من قبضة اليد تنزل متلاحقة ثقيلة وسريعة وكان بوسع المرء أن يرى يديّ ممتدتين، تارة على هذا الجانب وتارة على الجانب الآخر، وهما نازلتان من فوق — من أقصى مداهما — حتى رن رأسي المهشم التعيس تحت وقع الضربات.

إلكترا: ويحك، أيتها الأم القاسية البالغة الجرأة. لقد أنتك القوة على أن تدفني زوجك دفناً قاسياً. فرغم كونه ملكاً، دُفن بغير أن يبكيه أحد أو يسير وراءه شعبه أو يصحبه البكاء.

أوريستيس: ويلي، إن كلامك ليوحي بالاحتقار التام. وعلى ذلك، أفلا يمكن بمساعدة الرب، ومساعدة يدي، أن تُجَارَى على الاحتقار الذي فعلته بأبي؟ فلاخذ حياتها، ثم لا يهمني أن أموت بعد ذلك!

^{٢٣} ابن بيلوبس الذي كان سلطانه يعم جزءاً كبيراً من شبه جزيرة المورة التي اشتقت اسمها من اسمه.
^{٢٤} كانت النساء في عصر مقتل أجامنون يفرطنَ في البكاء على «عديد» المعدات الآسيويات المحترفات، كذلك هنا يكررن علامات الحداد تلك.

^{٢٥} آريا Aria إحدى مناطق فارس. فقد أطلق الإغريق اسم Arioi على Eranians (وهي آريا Ariya الفارسية القديمة). ويقول هيرودوت إن هذا اسمٌ قديمٌ أطلق على ميديس Medes.

^{٢٦} كيسيّا Cissia جزء من سوسيانا Susiana.

الكوروس: نعم، ومُزَّقٌ^{٢٧} بطريقة خبيثة، أود أن تعرف ذلك. وحتى عندما دفنته هكذا، وضعت خطتها بحيث تكون عبئاً على حياتك فوق ما تحتمل جميع القوى. ها أنت قد سمعت قصة الإهانة الفاضحة التي لحقت أباك.

إلكترا: إنها قتلت أبي، كما تذكرين، أما أنا فاحتُقرت منذ ذلك الوقت، واعتُبرت من سَقَطِ المتاع، محبوسة في حجرتي كما لو كنت كلباً شريراً، فأطلقت العنان لدموعي — التي جاءت بسرعة أكثر من الضحك — وانخرطت في النحيب داخل محبسي ببكاءٍ غزير. اسمعي قصتي وادفنيها في قلبك.

الكوروس: نعم، ولتُغص عميقاً في أذنيك. ولكن يجب أن تحافظي على هدوئك ورباطة جأشك. أما ما سيتبع ففكرِّي فيه بنفسك، يجب أن تدخلِي المعركة بغضب صلب لا ينثني.

أوريستيس: ها أنا ذا أناديك، يا أبتاه، قف إلى جانب ابنك!
إلكترا: وأنا التي أبكي بدموع سواجم، أضم صوتي إلى صوته.
الكوروس: وكل جماعتنا تدمج صوتها في تلاوة الصلاة مدوية. استمع! هيا إلى الضوء! قف معنا ضد العدو!

أوريستيس: إله الحرب سيواجه إله حرب، والحق سيواجه الحق.
إلكترا: وأنتم، أيها الآلهة، قررُوا بحق حجة الحق!
الكوروس: إن هذه لتسري في جسمي وأنا أسمع هذه الصلوات. ظل القدر منتظراً مدة طويلة، ولكنه سيأتي استجابة لنداء من يدعو.

أه، أيتها المتاعب المتأصلة في هذه الأسرة، ويا ضربة الدمار باعثة الشقاق الفظ! أه! أيتها الأحزان المبكية والمفجعة! أه، أيها الألم الممض!
لدى هذا البيت علاج لتلك الويلات — علاج ليس من الخارج، من يد شخص آخر — بل من يده هو نفسه، بالتنازع العنيف للدم، ننشد هذه الأغنية للآلهة المقيمة تحت الأرض.

أيها القوى السفلى المباركة، أعيروا توسلنا هذا أذنًا صاغية، وبإرادة مستعدة أرسلوا نجدتكم للأولاد حتى ينالوا النصر!

^{٢٧} إشارة إلى العادة الوحشية التي اتبعت معه، إذ قُطعت أطرافه ثم عُلقَت في رقبتِه ورُبِطت تحت الإبط. والغرض من رُبْطها تحت الإبط شل قوة روح الميت حتى لا تنتقم من القاتل.

أوريستيس: أيا أبتاه، يا من هلكت بمِيتة غير مَلَكِيَّة، أجب طَلبتي وامنحني السيادة على أبهائك!

إلكترا: وأنا أيضاً، يا والدي، أطلب منك طلباً مماثلاً؛ أن أهرب بعد أن أُلحق بأيجيستوس دماراً عظيماً.

أوريستيس: نعم، إذ عندئذٍ تُمد ولائم الرجال الجنائزية المعتادة، تكريماً لك، وبغير ذلك لا يكون لك نصيب مشرف في الوليمة الفاخرة ذات النكهة الشهية، والتي تضم القرابين المحترقة المقدمة للأرض.

إلكترا: وأنا كذلك، من كامل وصية ميراثي من بيت والدي أقدم لك سكببية في ليلة زفافي، وقبل كل شيء آخر أبجل وأكرم قبرك هذا أعظم تكريم.

الكوروس: أيتها الأرض، أرسلني والدي ليراقب معركتي!

إلكترا: أيا بيرسيفاسا Persephassa، امنحينا نصراً مجيداً.

أوريستيس: تذكر الحمام الذي سُرقت فيه روحك، يا أبتاه.

إلكترا: وتذكر كيف نصبوا لك شبكة صيد غريبة.

أوريستيس: قُبض عليك، يا والدي، بأغلال لم تصنعها يد حداد.

إلكترا: وبأغطية صُممت بطريقة مخجلة.

أوريستيس: أبتاه، ألا تُقلقك مثل هذه الإهانات؟

إلكترا: ألا ترفع رأسك العزيز عالياً؟

أوريستيس: إما أن ترسل العدالة لتحارب من أجل الأعداء على نفسك، أو تمنحنا أن نقبض عليهما^{٢٨} بطريقة مماثلة، إذا كنت ستنتال النصر حقاً بعد الهزيمة.

إلكترا: أصغ يا أبتاه إلى آخر توسل لي. كما أنك ترى هذه الأقراخ قابعة عند قبرك، فلتكن عندك رحمة على ذريتك، على المرأة، وفي الوقت نفسه على الذكر، ولا تعمل على انقراض ذرية بيلوبس Pelops^{٢٩} هذه، إذ عندئذٍ تكون غير ميت، رغم الموت. فإن الأولاد أصوات خلاص الإنسان مهما كان ميتاً. إنهم كقطع الفلين التي تطفو فوق الشبكة

^{٢٨} يرجو أوريستيس، أنه كما أن كلوتايمسترا وأيجيستوس قد قبضا على أجامنون بالخداع، كذلك أن يقبض هو عليهما بطريقة مشابهة ويقتلها.

^{٢٩} ابن تانتالوس وحفيد زوس، عندما كان طفلاً قطعه أبوه إرباً وإرباً وقدم لحمه طعاماً للآلهة الذين لم تجز عليهم الحيلة ماعدا ديميتير، فأكلت من فرط حزنها على فقد ابنتها.

لتحافظ على الخيوط الكتانية من الأعماق. أصغ! إننا نتقدم بهذه الشكوى من أجلك أنت، استجب لتوسلنا هذا، تنقذ نفسك.

الكوروس: الحقيقة أنكما تقدمتما بشكواكما هذه بنفس راضية، مظهرين التكريم لهذا القبر غير المبكى عليه. أما ما بقي، فيما أن قلبك متحفز للعمل فهيا إلى العمل إذن. **أوريستيس:** وهو كذلك. ولكن ليس من الخطأ أن نسأل لأي غرض أرسلت هذه القرابين بعد أن فات الأوان للتكفير عن فعلة تستعصي على العلاج. فهذه التقدّمات منحة محزنة للميت غير الواعي، ولا يمكنني التخمين بمعنى ذلك. وفضلاً عن هذا فإن تلك الهدايا حقيرة لا تتفق وهذه الجريمة. فلو سكب المرء كل ما لديه تكفيراً عن جريمة دم واحدة فإن جهده يضيع سدى، هكذا يقول المثل، فإن كنت تعرفين حقاً، فأخبريني لأني أتوق إلى معرفة ذلك.

الكوروس: أعرف، يا بني، لأنني كنت هناك. فعلت ذلك لأنها رأت حلماً اضطرب له قلبها وحامت حولها أرواح الليل المفزعة، فأرسلت هذه القرابين، أرسلتها تلك المرأة التي لا آلهة لها.

أوريستيس: وهل علمت بمضمون الحلم فتخبريني به صحيحاً؟

الكوروس: رأت في حلمها أنها ولدت أفعي، هذه هي روايتها هي نفسها.

أوريستيس: وأين تنتهي القصة، وما ملخصها؟

الكوروس: أرقدتها لتستريح كما لو كانت طفلاً ملفوفاً بالأقمطة.

أوريستيس: وأي طعام طلبت هذه المخلوقة الشريرة الحديثة الولادة؟

الكوروس: قدمت لها ثديها بنفسها، في حلمها.

أوريستيس: لا شك في أن حلمة ثديها لم تُجرح بأسنان ذلك الحيوان المقيت؟

الكوروس: كلا، وقد امتصت مع اللبن دماً متخثراً.

أوريستيس: حقيقة، إن هذا الحلم ليس بغير معنى؛ فهذه الرؤيا معناها رجل!

الكوروس: عندئذٍ أطلقت صرخة في نومها، وصحت مذعورة، وكم من مصباح أضيء

في الظلام فأرسل الضوء ساطعاً داخل البيت لإبهاج سيدتنا؛ لذلك أرسلت القرابين للميت عسى أن تصير علاجاً شافياً لمحتنها.

أوريستيس: كلا، إذن فأنا أتوسل إلى هذه الأرض، وإلى قبر والدي، أن يتم الغرض

من هذا الحلم بواسطتي، وهو كما أفسره، مطابق في كل نقطة. إذ لو غادرت الأفعى نفس

المكان كما غادرته أنا، ولو كانت مزودة بأقمطتي، ولو حاولت أن تفتح فمها لتأخذ الثدي الذي غذاني، وخلطت اللبن الحلو بالدم المتخثر، بينما صرخت هي فزعاً من هذا، إذن بكل تأكيد، بما أنها غدت مخلوقاً ذا طالع شؤم، إذن فهي ستموت حتماً، بالعنف لأنني إذ انقلبت أفعى، فسأكون قاتلها، كما يقرر هذا الحلم.

الكوروس: إنني لأختار قراءتك لنذير الشؤم ذاك. وليكن كذلك! أما ما بقي بعد هذا، فوزع على صديقاتك أدوارهن. مُر البعض بماذا يفعلن، والبعض الآخر بما يتركه دون إنجاز.

أوريستيس: إخبارهن بهذا سهل. يجب أن تدخل شقيقتي القصر، وإنني لأكلفها بكتمان اتفاقنا هذا، وأقصد بذلك، أنه بما أنهما قتلا رجلاً عالي القدر، بالخدعة، كذلك يقبض عليهما بالخداع أيضاً، ويهلكان بنفس الشرك. هذا هو ما قرره لوكسياس؛ السيد أبولو، ذلك العراف الذي لم يثبت خطؤه من قبل.

سأذهب إلى الباب الخارجي، كامل التسليح، في زي رجل غريب — ومعني بولاديس الذي ترينه هذا كضيف وحليف للبيت. سنتكلم كلانا بلهجة بارناسوس Parnassus^{٣٠} محاكيين النطق باللغة الفوكية. فإذا لم يرحب بنا أحد من البوابين الترحيب اللائق، بحجة أن السماء أرسلت المتاعب على هذا البيت، فسننتظر إلى أن يمر بالبيت شخصٌ فيخطر بباله شيء فيقول: «لماذا يقفل أيجيستوس بابه في وجه المتوسل إليه، إذا كان في البيت حقاً ويعرف به؟»

أما إذا اجتزت العتبة الخارجية للباب ووجدتُ ذلك الرجل جالساً على عرش والدي، أو إذا جاء أمامي بعد ذلك وجهاً لوجه، فإنه سوف — لاحظني جيداً! — يرفع عينيه ويتطلع قبل أن يقول: «من أي أرض هذا الغريب؟» إذ سأعاجله بسيفي وأطعنه به وألقيه صريعاً. فإن الروح المنتقمة التي لم تقترب من الدم ستشرب جرعتها الثالثة والعظمى من الدم الصريف!

والآن، يا إلكترا، لاحظني جيداً ما يدور في البيت، كي تلتئم خطانا معاً تمام الالتئام. أما أنتن (يخاطب الكوروس) فمن الخير أن تلتزمي جانب الصمت. لا تتكلمن عندما لا تكون هناك حاجة للكلام. وتكلمن بالضرورة فقط، حسب ما تتطلب الظروف. أما

^{٣٠} جبل مقدس لأبولو وربات الفن قريب من دلفي.

ما بقي بعد ذلك، فإنني أدعوه^{٣١} لأن يلقي نظرة هنا ويقود النزاع بالسيف في الطريق الصحيح.

(يخرج أوريسستيس وبولاديس وإلكترا.)

الكوروس: كثيرة جداً هي المخاوف المفزعة والمهددة بالخطر، التي ربتها الأرض وأذرع جماعات البحر العميق بواسطة الوحوش الضخمة المقيتة. كذلك توجد بين السماء والأرض أضواء^{٣٢} معلقة عالياً في الهواء، وكائنات مجنحة، وكائنات تمشي، وتستطيع الأرض أن تقص أخبار الغضب العاصف لدوامات الريح. ولكن من ذا يستطيع التكهن بروح الرجل البالغة الجرأة، وبالعواصف المتهورة للنساء المتصلبات الروح، رفيقات ويلات البشر؟ تسيطر على المرأة عاطفة جامحة قوية وتنال انتصاراً قاتلاً على زيجات الوحوش والبشر على حد سواء.

لو كان هناك أي فرد خفيف العقل في فهمه فليعرف هذا، عندما يعلم بقصة الجذوة المتقدة التي صممتها ابنة ثيستوس^{٣٣} Thestlus العديمة القلب، التي دبرت هلاك ابنها عندما استهلكت الجذوة المتفحمة التي كان عمرها من عمر ابنها منذ الساعة التي خرج فيها من رحم أمه وصرخ عالياً، والتي ظلت معه طوال حياته إلى اليوم المقدر لمصيره. تقول إحدى الأساطير إن امرأة أخرى، هي موضوع يصلح للدعارة. إنها عذراء^{٣٤} دبرت هلاك شخص عزيز عليها بإيعاز من أعدائه، إذ أغرتها هدية مينوس؛ وهي عبارة

^{٣١} أي أبولو، الذي يقوم تمثاله أمام القصر.

^{٣٢} يقصد الشهب.

^{٣٣} ولدت أثلثا Althaea ابنة ثيستوس ملك أيتوليا Aetolia وزوجة أونينوس Oeneus ملك كالودون Calydon، ولدت طفلاً سُمي ميلياجر Meleager. فلما بلغ هذا الصبي من العمر أسبوعاً، ظهرت الأقدار لوالدته وأخبرتها بأن ذلك الطفل سيموت عندما تأكل النار الجذوة المتقدة التي في الوطيس. وعندئذٍ أخرجت أثلثا الجذوة من الموقد وأطفأتها وحفظتها في خزانة. غير أنه عندما كبر ميلياجر وصار شاباً يافعاً، قتل إخوة أمه، فغضبت وأخرجت القطة المتفحمة من الخزانة وألقته في النار، فلما أتت عليها النار مات ابنها فجأة.

^{٣٤} حاصر مينوس ملك كريت نيسوس Nisus، في مدينته ميجارا. ولما كانت سكولا Scylla ابنة نيسوس تهيم بحب مينوس، قطعت من رأس والدها الشعرة الأرجوانية التي كانت تتوقف عليها حياته، وبذا تمكن الكريتيون من قتله.

عن العقد الكريتي المصنوع من الذهب، فقطعت شعرته الخالدة وهو نائم يتنفس غير مرتاب، فيا لها من فتاة ذات قلب كلب. فأخذه هيرميس.^{٣٥} ولكن، بما أنني استحضرت إلى الأذهان قصص الآثام المنطوية على عدم الرحمة، فهذا هو الوقت الملائم لذكر قصة زواج تجرد من الحب، فكان عامراً للبيت من جراء المكائد التي دبرتها زوجة لعوب ضد سيدها المحارب. ضد سيدها لسبب يحترمه أعداؤه. ولكن أبجل وطيساً ومنزلاً غريباً على نيران العاطفة، كما أبجل في المرأة روحاً تنفر من الأفعال الجريئة.

الحقيقة أن قصة نساء ليمنوس^{٣٦} تحتل المكان الأول بين قصص الجرائم. وقد ظلت مدة طويلة تُروى بالأتين، بصفتها فاجعة منكورة حتى صارت مثلاً يضربه الناس لكل فزع جديد فيقولون إنه أشبه بالحنة الليمنية. وبسبب هذه الفعلة الشنعاء التي يمقتها الآلهة. انقرض ذلك الجنس وأبيد، في خزيٍ وعارٍ، من بين البشرية. فما من رجلٍ يوقر ما يستحق كراهية السماء. هل هناك قصة من تلك القصص لم أذكرها بإنصاف؟

غير أن الحسام المرير الحاد، اقترب من الثدي، وضرب ضربته في موضعها تماماً انصياعاً لأمر العدالة. إذ الحقيقة أن عدم استقامة ذلك الذي يذنب بحق في ذات عظمة زوس الملكية، إنما يلقى على الأرض ويوطأ تحت الأقدام.^{٣٧}

لقد ثبت سندان العدالة بإحكام. تشكل ربة المصير أسلحتها، وتصنع سيفها في الوقت المناسب، وتأتي روح الانتقام المشهورة والعميقة التفكير، بالابن إلى البيت ليوقع الجزاء عن تلويث البيت بالدم المسفوك قديماً.

(يدخل أوريستيس وبولاديس مع خادم أمام القصر.)

أوريستيس: يا بواب! يا بواب! اسمع طرقتي على الباب الخارجي! من بالداخل، يا بواب، يا بواب، أقول مرة أخرى، من بالبيت؟ وللمرة الثالثة، أنادي شخصاً ما من هذا البيت ليأتيني، إذا كنتم ترحبون بالغرباء بإرادة أيجيستوس.

^{٣٥} هيرميس مرشد أرواح الموتى إلى هاديس.

^{٣٦} لما غارت نساء ليمنوس من العبيد التراقيين، قتلن أزواجهن. ولذلك، لما زار بحارة سفينة الأرجو تلك الجزيرة، لم يجدوا فيها أي رجل.

^{٣٧} هذه الترجمة مبنية على قراءة ستانلي Stanley، غير أن هذه وكل التغييرات الأخرى لا تزيل الصعوبات من النسخة الأصلية.

الخدّام: نعم، نعم، أسمع. من أي أرض هذا الغريب، وإلى أين؟
أوريستيس: أعلن قدومي لسادة هذا البيت، لأنني أحمل لهم أنباء. وأسرع لأنّ عربة الليل تسرع بالظلام، وهذا هو الوقت الذي ينزل فيه أثناء السبيل مرساتهم في بيت ما نبي ترحيب عام. اطلب من شخص ما، تكون له سيطرة على هذا البيت أن يأتي إليّ؛ السيدة الموكول إليها أمره، أو السيد، وهذا أليق، إذ عندئذٍ لا يسبب التأنق في العبارات غموض الألفاظ؛ إذ يتحدث رجل إلى رجل في جرأة، ويعبر عن قصده بغير تحفظ.

(ينسحب الخادم. تظهر كلوتايمسترا عند الباب مع خادمة.)

كلوتايمسترا: أيها الغرباء، ما عليكم إلا أن تعلنوا عن حاجتكم، فلدينا كل ما يناسب هذا البيت؛ من حمامات دافئة، وفرش تُذهب التعب، ووجود العيون المرحبة. أما إذا كان هناك أمر، غير ذلك، يتطلب مشورة أعظم، من شئون الرجال، فإننا سنتصل بهم.

أوريستيس: إنني غريب داولياني Daulian من الفوكيين. بينما كنت سائرًا في طريقي أحمل أمتعتي لشأن من شئوني الخاصة إلى أرجوس، وكنت قد أنهيت رحلتي إلى هنا^{٢٨}، إذ قابلني رجل غريب عليّ، كما كنت غريبًا عليه، وسألني عن وجهتي، وأخبرني بوجهته. إنه ستروففيوس Strophius، أحد الفوكيين (عرفت اسمه من خلال حديثنا)، وقال لي: «بما أنك، أيها الغريب، ذاهب إلى أرجوس، على أية حال، فتذكر أن تخبر والدّي أوريستيس، بأنه مات — ولا تنس هذا بحالٍ ما. وسواء قرر أصدقاؤه أن ينقلوه إلى وطنه أو يدفنوه في الأرض التي أقام فيها غريبًا إلى الأبد، فعد إليّ بقرارهم. وفي الوقت نفسه، فإن أنية من البرنز لتضم رماد رجلٍ مُبغى عليه بكاءً حارًّا.» لذا أخبرك بهذا كما سمعته. وسواء كنت بالصدفة أتكلم مع من يعينهم الأمر، أو مع من يهتمون به، فهذا ما لا أعرفه، ولكن يجب أن يعرف أبوه هذا الخبر.

كلوتايمسترا: الويل لي! إن روايتك هذه لتوحي بتحطيم آمالنا تمامًا. يا للعة التي تغشى هذا البيت — العسيرة المقاومة — وما أبعد المدى الذي يصل إليه بصرك! فحتى من كان المفروض أنه بمنأى عن طريق الأذى، فما أنت ذا قد صرعته بسهامك المسددة جيدًا من بعيد. وجردتني من أولئك الذين أحبهم، أنا الكلية التعاسة، والآن، يا أوريستيس

^{٢٨} المعنى الحرفي، هو: «فك قيدي»، إذ إن قدميه بمثابة خيوله.

— إذ خيرًا فعل بالاحتفاظ بقدمه بعيدة عن حمأة الدمار — والآن، هذا الأمل الذي كان في داخل البيت، لعلاج مرحة العادل، ها أنت ذا تسجل هجرانه لنا.^{٣٩}

أوريستيس: أما عن نفسي، فأني متأكد، بوجودي مع مضيفين بهذا الثراء، إنني أفضل لو عرفوني ورحبوا بي بسبب أخبار مفرحة. إذ أين توجد ثقة أعظم مما يبدي الضيف للضيف؟ ولكن بحسب فكري، إنه خرق للفروض المقدسة ألا أنجز للأصدقاء ما عهدوا به إليّ، مثل هذا، عندما أكون قد ارتبطت بوعد وبالإكرام الموعود.

كلوتايمسترا: كلا، وإنما يجب أن تطمئن وتتأكد من أنك لن تنال جائزة أقل مما يليق، ولن تلقى في هذا البيت ترحيبًا أقل مما يجب؛ فقد كان بوسع رجلٍ غيرك أن ينقل هذه الرسالة، ولكن هذا الوقت هو ما ينال فيه الغرباء الذين كانوا مسافرين في رحلة طويلة، إكرامهم الملائم (إلى خادم)، اصحبه إلى حجرات استقبال الضيوف من الرجال، هو وخدمه وزميله في السفر، وليكرموا هناك بما يتفق وبيتنا. إنني أكلفك بهذا، وستكون ملزمًا بتنفيذه بدقة وفي الوقت ذاته سنخبر سيد البيت بهذا الأمر، وبما أننا لا نفتقر إلى الأصدقاء، فسنتلقى المشورة في هذا الحادث.

(ينسحب الجميع ما عدا الكوروس.)

الكوروس: أيا خدمات هذا البيت المخلصات، كم من الوقت سيمر قبل أن نستخدم أية قوة في شفاهانا لنقدم خدمة إلى أوريستيس؟

أيتها الأرض المقدسة، والتل العالي المقدس المطل الآن على الحوض الملكي لقائد الأسطول، استمعوا إليّ الآن، وأعيراني المعونة! هذا هو وقت الإغراء بخداعها لكي تشترك معه في العمل، ولهيرميس العالم السفلي — ذلك الذي يعمل في الخفاء — أن يقود الالتحام بالسيف القاتل.

(تدخل مربية أوريستيس.)

^{٣٩} المعنى الظاهر لكلام كلوتايمسترا، هو أنه بوجود ابنتها على قيد الحياة وبعيدًا عن البيت الملوث بالدماء، كانت تأمل في نهاية بقاء اللعنات، ولكن هذا الأمل قد تلاشى، لا يزالون متمسكين «بفرحهم العادل» كما تسميه في تهكم أو في تورية. إن عاطفتها الداخلية هي الفرحة بتحطيم آمال إلكترا في عودة أخيها لإنهاء الفرحة غير اللائق.

يبدو أن ضيفنا الغريب يفعل الشر الآن؛ لأنني أرى مربية أوريستيس تبكي بدموع غزيرة. أيا كاليسا Calissa! ^{٤٠} إلى أين تذهبين؟ كيف حدث أنك وطئت بقدمك باب القصر، حزيناً على رفيقتك غير المأجورة؟

المربية: أمرتني سيدتي أن أنادي أيجيستوس بغاية السرعة لأجل الغرباء، حتى يحضر ويعلم بوضوح أكثر، بصفته رجلاً أمام رجل. هذه الأنباء التي وصلت منذ لحظة. الحقيقة أنها أخفت ضحكها لما حدث وأسعدها، أمام الخدم، وخلف عينين تتظاهران بالبكاء، ولكن هذه الأخبار التي جاء بها الغرباء في وضوح، توحى بالدمار التام لهذا البيت. أوكد أنه سيغتبط في قلبه عند سماع هذه القصة. ما أتعسني من امرأة! كيف آلمت المصائب القديمة، التي من كل نوع، والتي يصعب احتمالها، وقد أصابت بيت أتريوس هذا، آلمت قلبي داخل صدري! ومع ذلك فإنني ما قاسيت ضربة كهذه على الإطلاق، إذ احتملت جميع الويلات السابقة بصبر وجلد، بيد أن سيدي أوريستيس المحبوب، الذي من أجله أضعت كل روحي، ذلك الذي أخذته من والدته عند مولده وربيتة. وتلك الأعمال الكثيرة الشاقة — التي ذهبت جميعها بغير فائدة — عندما كانت صرخاته الطويلة الحادة تنغص عليّ راحتي. إذ يجب على المرء أن يربي هذا الشيء العديم الإحساس كما لو كان حيواناً أعجم — وبالطبع يجب ذلك — بمسايرة مزاجه. فبينما كان لا يزال طفلاً ملفوفاً بالأقمطة، ولا يستطيع النطق بالكلام إطلاقاً — سواء للتعبير عن الجوع أو العطش أو قضاء الضرورة — فجوف الأطفال الصغار يعمل ما يحلو له. كان يجب أن أتنبأ بهذا، ومع ذلك، فكم من مرة، وأظن أنني كنت مخطئة، غسلت ملابس ذلك الطفل — فوظيفة الغسالة والمربية واحدة. كنت أنا التي تسلمت أوريستيس من يدي والده لأقوم له بهاتين الوظيفتين. والآن ما أتعسني إذ أسمع أنه مات، ولكنني في طريقي لإحضار الرجل الذي جلب الخراب على هذا البيت، وسيصره كثيراً أن يسمع هذه الأخبار.

الكوروس: وبأية صورة أمرته أن يحضر؟

المربية: بأية صورة؟ كرري هذه العبارة مرة ثانية كي أفهم المعنى بطريقة أفضل.

الكوروس: هل يحضر مع حرسه الخاص، أو بدون حرس؟

المربية: [سأدعوه للحضور وسط حرسه]. ^{٤١}

^{٤٠} جرت العادة أن يُسمّى العبيد بأسماء بلادهم.

^{٤١} الناشر.

الكوروس: كلا، لا تبليغي هذه الرسالة لسيدنا البغيض، ولكن اطلبي منه أن يحضر وحده بغاية السرعة وبقلب مبهتهج، حتى يخبر بغير خوف. إذ تستقيم الرسالة الملتوية في فم الرسول.^{٤٢}

المربية: ماذا، وهل أنت مسرورة القلب من هذه الأخبار الحالية؟

الكوروس: ولم لا، إذا كان زوس قد يغير اتجاه ريحنا الخبيثة؟

المربية: كلا، وكيف يمكن أن يكون هذا؟ فقد ذهب أوريستيس، أمل هذا البيت.

الكوروس: لم يذهب بعد. إنه لعراف غبي، ذلك الذي يفسر الأمر على هذا النحو.

المربية: ماذا تقولين؟ هل تعرفين شيئاً أكثر مما قيل!

الكوروس: اذهبي وبلغي رسالتك! افعلي ما أمرت بفعله. تُعنى الآلهة بمن تريد أن

تُعنى به.

المربية: حسناً، سأذهب طوعاً لأمرك، عسى أن يتحول كل شيء، بنعمة الله، إلى خير

ما يكون!

الكوروس: والآن، استمع إلى توسلي، يا زوس، يا أبا الآلهة الأوليمبية: اسمح بتوطيد

حظوظ هذا البيت، حتى إن الذين يرغبون بحق في الحكم بنظام، أن يروه. لقد توخيت

العدالة في كل كلمة نطقت بها. فحافظ على سلامتها، يا زوس!

أي زوس، انصر ذلك الذي بداخل القصر أمام أعدائه؛ لأنك إن أبهجت فسيصره أن

يدفع لك الجزاء ضعفين أو ثلاثة أضعاف.

تذكر أن الأفراخ الميتمة لرجلٍ عزيزٍ عليك، مربوطة في عربة البلاء. وهل لك أن تضع

حداً للأحداث الجارية، فتسمح بأن نراه يسير بخطى ثابتة في هذا الطريق بخطوة الركض

الشاقة لبلوغ الهدف!^{٤٣}

وأنت يا من تقيم في البيت، في الحجرة الداخلية المؤثثة في بذخ وأبهة، اسمعوني أيها

الآلهة، يا من تشاركوننا مشاعرنا! أنزلوا عقاباً جديداً عن الأفعال الدموية المقترفة قديماً.

عسى أن يكف القتل العجوز عن ولادة ذرية في هذا البيت!

^{٤٢} مثل سائر موجهٍ إلى المربية وليس إلى أجيستوس، نصه: «عندما تمر الرسالة خلال فم حاملها، يمكنه تغييرها حسبما يشاء».

^{٤٣} أي دعه ينتظر سنوح الفرصة المواتية باجتناج السرعة.

وأنت يا من تسكن في المغارة^{٤٤} العظمى الجميلة البناء، اسمح بأن يرفع بيت هذا الرجل عينيه ثانية بالفرح، وينظر بعينين مبتهجتين، من وراء حجاب الظلام، ضوء الحرية الساطع الأشعة!

عسى أن يمنح ابن مايا Maia،^{٤٥} كما يجب عليه أن يفعل، مساعدته؛ إذ لا أحد يمكنه أن يقود فعلة في طريق ملائم، خيرًا مما يفعل هو إذا شاء.^{٤٦} بيد أنه، بكلامه الخفي، يجلب الظلام على عيون الناس بالليل، وليس بالنهار أوضح منه ليلاً. وأخيرًا سننشد بصوتٍ مرتفعٍ أغنية خلاص هذا البيت، تلك الأغنية التي تغنيها النساء عندما تهدأ الرياح ولا ترسل صوتها المزمجر جالب الأحزان «تجري السفينة بسلام. ولي، لي، يزيد هذا إلى ربح، وتناهى الكارثة بعيدًا عن أولئك الذين أحبهم». ولكن عندما يأتي دور العمل، فاصرخ عاليًا بشجاعة جيدة، قائلاً اسم «أبتاه»، وعندما تصيح هي «ولدي»، أنجز الفعلة المؤذية، الخالية من الإثم. ارفع روح بيرسيوس Perseus^{٤٧} في داخل صدرك، ومن أجل الأعداء عليك تحت الأرض، ومن أجل مَنْ فوق، أقم العدل الشافي لغيليل غضبهم الشديد؛ محدثًا الدمار الدموي في داخل البيت ومحطمًا المجرم الذي تسبب في الموت.^{٤٨}

(يدخل أيجيستوس.)

أيجيستوس: لم آت من تلقاء نفسي، بل استدعاني رسولٌ بناءً على أخبار مذهلة، كما سمعت، يرويها الغرباء الذين جاءوا. إنها أخبار بعيدة عن الترحيب، تقول إن أوريسستيس مات. فإذا وضع هذا على البيت صار عبئًا مخيفًا، بينما هو لا يزال يئن من الجرح الذي

^{٤٤} كان معبد أبولو الداخلي في دلفي عبارة عن مغارة أو قبو به مقعد ثلاثي الأرجل قائم فوق صخرة، وعليه لوحة من الرخام تجلس عليها الكاهنة.

^{٤٥} أي هيرميس حامي الخداع ورب الفصاحة.

^{٤٦} يقرأ السطر ٨١٥ من النص اليوناني الذي بين قوسين هكذا. «وأشياء كثيرة أخرى يفعلها ببساطة إذا أراد.»

^{٤٧} ابن زوس وداناي. تنبأ كاهن إلى أكريسيوس والد داناي بأن ابنته ستلد ابنًا يسعى إلى قتله. فحبس أكريسيوس داناي في حجرة من البرنز تحت الأرض ليمنع حدوث هذا الأمر الجلل، ولكن زوس زارها في هيئة مطر من الذهب فأنجبت بيرسيوس.

^{٤٨} المعنى العام للسطور من ٨١٩-٨٢٨ غير واضح.

أصابه به قتل سابق. كيف يتسنى لي معرفة ما إذا كانت هذه الرواية صادقة وهي الواقع؟ أو هل هي مجرد إشاعة روجتها النساء المذعورات، فترتفع عاليًا ثم تهبط لتدل على لا شيء؟ ماذا يمكنك أن تخبريني به لكي يوضح المعنى فيسهل فهمه؟

الكوروس: سمعنا الحكاية؛ هذا صحيح، ولكن ادخل واستفهم من الغرباء. فليس تأكيد الرسول شيئاً يُذكر إذا قيس باستعلام المرء بنفسه من الرجل ذاته.

أيجيستوس: أريد مقابلة الرسول، وأتحقق منه من جديد، هل حضر الموت بنفسه، أو أنه يروي ما سمعه من تقرير غامض. كلا، فلا تأكدن من أنه لا يخدع عقلاً مفتوح العينين.

(يخرج.)

الكوروس: أي زوس، أي زوس، ماذا بوسعي أن أقول؟ هل أبدأ بهذا صلاتي وتوسلي إلى الآلهة؟ كيف لي، في إخلاصي هذا، أن أجد ألفاظاً تلائم الموقف؟ هذه هي اللحظة التي فيها، إما أن يدمر حد النصال المضرجة بالدماء والتي تصرع الرجال، بيت أجاممنون إلى الأبد، أو يُوقد لهب نور ساطع في قضية الحرية، فيفوز أوريستيس بكل من السيطرة على مملكته وممتلكات آبائه العظيمة. بمثل هذه التجربة سيواجه أوريستيس خصمه دون أن يكون معه من يشد أزره. وعسى أن يجر هذا إلى النصر!

(تُسمع صرخة من الداخل.)

أيجيستوس (في الداخل): أوَاه! أوَاه! الويل لي!

الكوروس: ها! ها! هكذا أقول. كيف الحال؟ كيف دبر الأمر لهذا البيت؟ هيا بنا نقف بعيداً، إذ لم تنته المسألة بعد، حتى نكون بمنجاة من اللوم في هذا العمل الشرير. فقد تقررنت نتيجة القتال الآن.

(ينسحب الكوروس إلى أحد الجوانب، وعندئذ يندفع أحد خدم أيجيستوس داخلاً.)

الخادم: الويل لي، الويل والوبال لي! قُتل سيدي! الويل لي! ومع ذلك، فأنا أصرخ للمرة الثالثة لم يعد هناك أيجيستوس! هيا، افتحوا بكل سرعة! أزيحوا مزليج باب النساء! هذا الخطب في حاجة إلى ذراع يمنى قوية — ولكنها لن تساعد من قُتل — ما فائدة ذلك؟ أوَاه! أوَاه! هل أنا أصرخ إلى الصمِّ وأضيع صوتي عبثاً إلى قوم نائمين؟ إن رقيبها قريبة من حد الموسيقى، وتكاد تسقط تحت الضربة.

(تدخل كلوتايمسترا مسرعةً وحدها دون خدم.)

كلوتايمسترا: ما هذا؟ أية صرخةٍ لطلب الغوث تُطلقها في البيت؟

الخدم: أقول إن الميت يقتل الحي.^{٤٩}

كلوتايمسترا: ويلى! ها أنا ذا أدركت معنى اللغز. سنهلك بالخداع كما قتلنا. فليعطني أحدًا ما فأس قتل، وبسرعة! ولنعرف ما إذا كنا منتصرين أو مهزومين؛ لأنني وصلت إلى هذا في هذه الفعلة الشريرة.

(يخرج الخادم. يفتح الباب فتظهر جثة أيجيستوس، وأوريستيس واقف إلى جانبه وعلى مسافةٍ منه بولاديس.)

أوريستيس: إنك نفس الشخص الذي أبحث عنه. أما ذلك، فقد نال كفايته.

كلوتايمسترا: ويلى! أنت ميت أيها الشجاع أيجيستوس، يا محبوبى!

أوريستيس: أتحيين ذلك الرجل؟ إذن فستترقدين معه في نفس القبر، ولن تفارقيه قط في الموت.

كلوتايمسترا: كفَّ يدك، يا بني! أشفق، يا ولدي، على هذا الثدي الذي رضعت لبنه وغذاك حتى وأنت نائم لم تنبت الأسنان في لثتك بعد.

أوريستيس: ماذا أفعل، يا بولاديس؟ هل أبقى على حياة أُمي شفقة بها؟

بولاديس: وماذا يكون إذن عن وحي لوكسياس الذي صدر في بوثو Pytho، وعن عهدنا الذي أقسمنا عليه؟ لأنّ تعتبر جميع البشر أعداءك، أفضل لك من عداوة الآلهة.

أوريستيس: أحكم بأنك المنتصر؛ فقد نصحتني بالصواب. (إلى كلوتايمسترا) هيا إلى هذا الجانب! أعني إلى جانبه لأقتلك. وبما أنكِ اعتبرته خيرًا من والدي بينما كان حيًّا، فارقدي معه في الموت؛ لأنه الرجل الذي تحبينه، وكانت كراهيتك لمن فرض عليك أن تحبيه.

كلوتايمسترا: أنا التي غذيتك، وسأصير عجوزًا لديك.

أوريستيس: ماذا! أنقتلين والدي وتتخذين مسكنك معي؟

كلوتايمسترا: القدر هو المسئول عن هذا، يا ولدي.

أوريستيس: إذن فالقدر هو الذي دبر موتك بنفس تلك الطريقة.

^{٤٩} تتضمن العبارة الإغريقية معنيين: «الميت يقتل الرجل الحي» أو «الرجل الحي يقتل الميت».

كلوتايسترا: ألا تخشى لعنة الوالدين، يا ولدي؟
أوريستيس: لقد ولدتني، ثم طردتني وألقيتني إلى البؤس.
كلوتايسترا: من المؤكد أنني لم أطردك بإرسالي إليك إلى بيت حليف.
أوريستيس: بعثني عبداً، رغم كوني ابن رجل حر المولد.
كلوتايسترا: إذن فأين الثمن الذي تقاضيته عنك؟
أوريستيس: يمنعني العار من أن أقرعك بما تستحقين.
كلوتايسترا: كلا، إذن فلا تُحجمن عن إعلان حماقات والدك.
أوريستيس: لا تتهمني ذلك الذي كان يكذب وأنت جالسة في البيت بدون عمل.
كلوتايسترا: كان عملاً قاسياً، يا بني، أن تتجرد النساء من زوج.
أوريستيس: نعم، ولكن كد الزوج هو الذي يعولهن وهن جالسات في البيت.
كلوتايسترا: يبدو أنك مصمم، يا بني، على أن تقتل أمك.
أوريستيس: إنك أنت التي ستقتلين نفسك، ولست أنا الذي أقتلك.
كلوتايسترا: احترس، احذر كلاب اقتفاء الأثر برائحة الدم المنتقمة للأم.
أوريستيس: ولكن الكلاب المنتقمة للأب، كيف أفلت منها لو تركت هذه المهمة بغير إنجاز؟

كلوتايسترا: بما أنني لا أزال على قيد الحياة، فأعتقد أنني أنوح عبثاً أمام قبر.^{٥٠}
أوريستيس: نعم، فإن مصير أبي هو الذي يحدد حتفك هذا.
كلوتايسترا: ويلي! هذه هي الأفعى التي ولدتها وأرضعتها!
أوريستيس: نعم، وقد تنبأ حلمك المفزع، بالصواب. إنك قتلت من كان يجب ألا تقتليه، إذن فقاسي ما كان يجب ألا يكون.

(يجبر أوريستيس أمه على الدخول، ويتبعهما بولاديس.)

الكوروس: إنني لأحزن، حتى من أجل هذين في مصرعهما المزدوج. ومع ذلك، فبما أن أوريستيس المعذب قد تسنم قمة كثير من الأعمال الدموية، فإننا لنفضل أن يكون الأمر هكذا؛ ألا تهلك عين هذا البيت تماماً.

^{٥٠} «ينوح أمام قبر» مثل، يقول الشارح إنه يعادل المثل: «يبكي لقبر كما يبكي لغبي» وتقصد كلوتايسترا أنها تنوح بنفسها على موتها، وهي لا تزال بين الأحياء.

وكما جاءت العدالة لبريام وابنه أخيراً في عقابٍ ساحق، كذلك جاء إلى بيت أجاممنون أسد مزدوج، هو القتل المزدوج.^{٥١} بذل المنفي والمتضرع إلى إله بوثو، قصارى جهده في إنجاز مهمته، تحته بعدلٍ نصائح من فوق.

أطلقوا صيحة النصر لإفلات بيت سيدنا من محنته، ومن تبذير ثروته بأيدي الشخصين الفاسدين، ثروته المحزنة!

وقد جاء ذلك الذي دوره الانتقام بالخداع، بواسطة الهجوم خلسة. وفي أثناء المعركة أرشدت يده بواسطة تلك التي هي بكل حق ابنة زوس، التي تنفث الغضب بموت أعدائها. نطلق عليها نحن البشر اسم «العدالة»، وبذا نصيب الهدف.

أطلقوا صيحة النصر لإفلات بيت سيدنا من محنته، ومن تبذير ثروته بأيدي الشخصين الفاسدين، ثروته المحزنة!

إن الأوامر التي أعلنها جهراً لوكسياس ساكن محراب مغارة برناسوس القوية، قد توطدت الآن بالدهاء العديم الخداع المهاجم للشر. عسى أن تسود كلمة الرب كي لا أخدم الشرير!^{٥٢} ومن الصواب احترام سنة السماء.

انظروا، ها هو النور قد أقبل وتحررت من الحكم القاسي الذي شل حركة أفراد الأسرة. انهضي أيتها الأبهاء! فقد مضى عليك مدة طويلة وأنت راقدة على الأرض عاجزة عن الحركة. سرعان ما سيمر «الوقت» المنجز لكل شيء، من أبواب البيت عندما يطرد كل تلوث من الوطيس بطقوس التطهير التي تطرد المصائب. وستتغير عجلات الحظ وهي تسقط وتستقر بوجوه جميلة المنظر حسنة الاستعداد لكل من يقيم في هذا البيت.

انظروا، ها هو النور قد أقبل وتحررت من الحكم القاسي الذي شل حركة أفراد الأسرة. انهضي أيتها الأبهاء! فقد مضى عليك مدة طويلة وأنت راقدة على الأرض عاجزة عن الحركة.

(يرى أوريسستيس ممسكاً بغصن المتضرع وبإكليله وواقفاً بجانب الجثتين ومعه بولاديس، والخدم يعرضون ثوب أجاممنون.)

أوريسستيس: انظروا إلى هذين الشخصين الظالمين في هذا البلد، اللذين قتلوا والدي، وبدداً أموال بيتي! كانا في عظمة وهما جالسان على عرشيهما ومتحابان حتى الآن، كما

^{٥١} بما أن الأسد المزدوج (كلوتايمسترا وأيجيسثوس) قد اعتدى على البيت، كذلك حدث قتل مزدوج قام به المدافعون عن البيت. لم تُذكر أية إشارة إلى أوريسستيس وبولاديس، أو إلى أجاممنون وكاساندر.

^{٥٢} هذه الترجمة مبنية على نصوص هيرمان Hermann.

يستطيع المرء أن يحكم مما نزل بهما، وقد برا باليمين التي أقسامها على عهودهما ومواثيقهما. أقسما معًا على أن يكونا عصابة ضد أب تعيس، وأقسما معًا على أن يموتا معًا، وها هما قد برا بقسميهما.

وانظروا الآن ثانية، يا من تنصتون إلى هذه القضية المليئة بالكوارث، والحيلة التي دُبرت لشد وثاق والدي التعيس، التي بها غُلت يداه وقُيدت بها قدماه. ابسطوه! قفوا حوله في دائرة، واعرضوه — إنه غطاء لرجل! — حتى يرى «الأب» (ليس أبي وإنما الأب الذي يخدم جميع الكائنات، أي «الشمس») العمل غير الصالح الذي عملته أُمِّي، وهكذا سيحضر في يوم الدينونة، شاهدًا عليَّ بأنني فعلت هذا القتل لباعث عادل، حتى قتل أُمِّي، أما مقتل أيجيستوس فلا أتكلم عنه لأنه نال عقاب الزاني بحسب نص القانون.

أما تلك التي دبرت هذه الفعلة الشنعاء ضد زوجها، وجعلت أولادها الذين ولدتهم عبئًا تحت منطقتها، عبئًا كان عزيزًا في بعض الأحيان، أما الآن فكما يتضح من الأحداث مكروهين كراهية الموت من الإنسان، فماذا تظنون بها؟ أولدت أفعى بحرية أو حية رقطاء؟ أعتقد أن مجرد لمستها دون لدغتها، قد شلت حركة البعض إذا أمكنها أن تلمس بشرور وبغير خجل.

(يعود فيمسك الثوب المضرج بالدم.)

أي اسم أطلقه على هذا الثوب، وأنا أتحدث بلغة غير حلوة؟ هل أسميه شرًا للوحوش المفترسة؟ أو غطاء نعش^{٥٣} لف حول قدميه؟ كلا، بل الأخرى أن تسموه «شبكة» لصيد الحيوانات، أو أثوابًا لتقييد أقدام رجل. هذا هو الشيء الذي يأتي به قاطع الطريق الذي يخدع الغرباء ويمتهن مهنة اللصوص؛ وبمثل هذه الوسيلة الخداعة يستطيع قتل كثيرٍ من الرجال فيفرح بهم قلبه.

عسى ألا تقيم مثل هذه المرأة معي في بيتي! وإلا فليسمح الله، قبل ذلك، بأن أهلك وبغير ولد!

الكوروس: أوَاه، أوَاه، يا للعمل الوبيل! تعيسة هي الميتة التي أنهت حياتك. يا للحسرة! يا للحسرة! والازدهار أيضًا لمن خدم الآلام.

^{٥٣} اللفظ الإغريقي يأتي أيضًا بمعنى «ستارة حمام».

أوريستيس: أفعلت تلك الفعلة أم لم تفعلها؟ كلا، إن شاهدي هو هذا الثوب الذي صبغه سيف أيجيستوس. كانت دمًا، هذه البقعة التي تساعد الزمن على أن يتلف الأصباغ الكثيرة التي صبغت بها الأقمشة الموشاة.

وأخيرًا أتكلّم الآن بالثناء عليه، وقد حضرت الآن أخيرًا لأبكيه وأنا أخطب هذا النسيج الذي سبب موت أبي، ومع ذلك، أحزن للفعلة وللعقاب، ولكل العشيرة، إن انتصاري تلوث لا يحسد عليه الإنسان.

الكوروس: لن يقضي مخلوق بشري حياته بغير خسارة وخالية من الآلام حتى نهايتها. يا للأسف! يا للأسف! تأتي اليوم شدة، ثم تتلوها أخرى غدًا.

أوريستيس: ولكن — بما أنه قد يواجهني، وأنتن تعرفن — لأنني لا أعرف كيف ستنتهي — فأنا سائق يسوق خيوله بعيدًا خارج الطريق؛ إذ يطوح بي ذهني الصعب القياد بعيدًا، مغلوبًا على أمري، وأما الخوف في قلبي فيميل إلى أن يغني ويرقص على نغمة الغضب. ولكن بينما أنا لا أزال محتفظًا بحواسي، أعلن لمن أنا عزيز عليهم، وأقرر أنني لم أقتل بغير عدل والدتي، قاتلة أبي، الملوثة، والتي تمقتها السماء.

أما عن البواعث التي شجعتني على هذا العمل، فأهم من أقدمه هو لوكسياس، عراف بوثو، الذي قرر أنني إن فعلت هذا برئت من التهمة الشريفة، أما إذا تخاذلت، فلن أذكر اسم العقاب، إذ ما من قذيفة قوس يمكن أن تصل بنكبتها إلى ذلك الارتفاع.

والآن، انظروا، كيف أتسلح بهذا الغصن وهذا الإكليل، وأذهب كمتضرع إلى مركز الأرض الرئيسي، أملاك لوكسياس، وإلى النار الساطعة المشهورة بأنها لا تخدم إطلاقًا،^{٥٤} منفيًا لفعلة قتل الأقارب هذه، كما أمرني لوكسياس بآلا أتوجه إلى أي وطيس آخر. أما عن الطريقة التي تمت بها هذه الفعلة الشنيعة، فإنني أكلف جميع رجال أرجوس، في الوقت المناسب، بأن يأتوا ويشهدوا لي. سأذهب شريدًا من هذه الأرض تاركًا ورائي تقريرًا في الحياة أو في الموت.

الكوروس: كلا، بل فعلت خيرًا؛ لذا لا تُسخر لسانك للنطق بكلام الشؤم، ولا تجعل شفتيك تتكلمان بتكهنات النحس لأنك حررت مملكة أرجوس بأسرها بأن قطعت رأسي أفعوانين بضربة سعيدة.

^{٥٤} كان في معبد دلفي نار لا تخدم إطلاقًا.

أوريستيس: أوّاه، أوّاه! انظرن إليهما هناك، أيتها الوصفيات — كأنهما جورجوناتان^{٥٥} ترتديان أثوابًا من الشعر الأحمر المنسوج بالثعابين المكتظة! لا أستطيع البقاء هنا أكثر من ذلك.

الكوروس: أية أوهام تلك التي تزعجك، يا أعز الأبناء على والدك؟ لا يسيطرُ الخوف عليك بهذه الدرجة المفزعة.

أوريستيس: ما من مخاوف متوهمة تساورني، بل الحقيقة أن هناك تقف الكلاب المقتفية الأثر برائحة الدم، تريد الانتقام لوالدتي.

الكوروس: إن الدم لا يزال يبلى يديك، وهذا هو السبب في الوسواس التي تبلبل أفكارك.

أوريستيس: استمع إليّ، أيها السيد أبولو! إنهن يأتين الآن جماعات، ويقطر من عيونهن دم مقيت!

الكوروس: هناك طريقة واحدة لتطهيرك، إنها لمسة لوكسياس التي تخلصك من هذه الكآبة.

أوريستيس: إنكن لا ترينهن، بل أنا الذي أراهن. إنني أطارد. لن أستطيع البقاء هنا أكثر من ذلك.

(يندفع خارجًا.)

الكوروس: إذن، فلتصحبك النعم، وليرعك الله برحمته ويحرسك بحظ سعيد! انظروا! للمرة الثالثة تهب عاصفة الأسرة على البيت الملكي وتستمر في طريقها. فأولاً، في البداية، جاءت الكارثة القاسية من ذبح الأطفال طعماً، ثم حتف رجل ملك، عندما قُتل في حمام. فهلك سيد حرب الآخيين Achaeans. والآن، يأتي، مرة ثالثة، مخلص — أو هل أقول حتف؟ أوّاه، متى سيتم عملها؛ متى تهدأ ثورة المصائب وتنتهي وتكف؟

^{٥٥} الجورجونات ثلاث: سثينو ويوروالي وميدوسا. كانت إقامتهن بالقرب من مملكة الأموات وحديقة الخالدين خلف جزيرة أوقيانوس. وكان مظهرهن بشعاً مخيفاً، ولهن أجنحة ومخالب من البرنز، ولعيونهن ضوء خاطف مهلك وأفواههن واسعة ذات أسنان ضخمة شاذة، وتتوج شعورهن الثعابين. وكانت ميدوسا هي الفانية الوحيدة بين الثلاث وكانت أبشعهن منظرًا، من ينظر إليها يتحول في الحال إلى حجر.

يومينيديس أو الرحيمات

(عن اليونانية القديمة)^١

ملخص المسرحية

اكتشفت كاهنة أبولو وجود أوريسستيس المتضرع في المحراب الداخلي لإله دلفي، وأمامه إيرينيوس والدته وتتكون من جماعة من المخلوقات المخيفة، تعبن من مطاردة هذا الهارب، فغلبهن النعاس، وعد أبولو أوريسستيس بأن يساعده وأمره بالهروب إلى أثينا حيث يعرض قضيته للحكم ويتخلص من آلامه. يظهر شبح كلوتايمسترا ليوبخ الإيرينيوس النائمات على إهمالهن، لأنهن حططن من قدرها بين الموتى الآخرين.

فاستيقظن من سباتهن بسبب تعبيراتها، وانتحن باللوم على أبولو إذ آوى رجلاً ملوثاً طاردنه بالحق الذي تخوله لهن وظيفتهن، وهي الانتقام من جميع الذين يسفكون دم الأقارب.

ينتقل المنظر إلى أثينا حيث تتبعت المطاردات فريستهن. فأمسك أوريسستيس بتمثال بالاس العتيق، وتوسل إليها طالباً حمايتها بحجة أن الدم الذي على يديه قد غُسل منذ مدة طويلة بطقوس مقدسة، وأن وجوده لم يضر أحداً ممن آووه بسوء. تنشد الإيرينيوس

^١ EUMENIDES: «يومينيديس» اسم «للإيرينيوس» أو «الفوريات» معناه «الرحيمات». وسبب إطلاق هذا الاسم عليهن أحد أمرين، إما لأن البشر كانوا يخشون استعمال اسمهن الحقيقي ومعناه «ربات الانتقام» وإما لأن «الفوريات» كن يُعتبرن محبات للخير لمعاقبتهن الأشرار.

ترتيلة ليربطن روح فريسته بنوبتها الجنونية. فتظهر الربة استجابة لنداء أوريسيتيس وتتعهده، بعد أن تحصل على موافقة الإيرينيوس، على أن تتولى الحكم في القضية وحدها بمساعدة عددٍ مختار من مواطنيها، تتألف منهم طائفة المحلفين.

تفتح المحاكمة بحضور أبولو كمحامٍ عن المتضرع إليه، وكممثل لزوس الذي ينقل أوامره في كل وحي له. فيقرر أن أوريسيتيس إنما قتل أمه تبعاً لوصيته المشددة المتعجلة. يعترف المتهم بفعلة، ولكنه يقول في الدفاع عن نفسه، إن كلوتايمسترا، إذ قتلت زوجها فإنما قتلت أباه، وكان يجدر بالمدعيات بحق الاتهام أن ينتقمن منها، وعندما رفض هذا الدفاع، بحجة أن القاتلة لم تكن قريبة المقتول، أنكر أوريسيتيس قرابة الدم بينه وبين والدته، وأيده في ذلك أبولو الذي أكد أن الأب وحده هو الوالد الصحيح للطفل، وليست الأم سوى مربية للبذرة المزروعة.

أعلنت أثينا أن المحكمة، وهي أول محكمة تنظر في قضايا قتل الإنسان، قد تأسست منها لجميع الأزمنة المستقبلية. وألقى المحلفون أزماتهم، فقررت الربة أن واجبها النطق بالحكم النهائي في القضية، وتبدي رغبتها في أن يحسب صوتها في جانب أوريسيتيس ليكسب القضية، في حالة تعادل الأصوات. وإذ أعلن انتصار أوريسيتيس بذلك القرار، فإنه غادر المكان في هدوء وهدد خصومه بأن يجلبن الخراب على البلاد التي أنكرت عدالة قضيتهن. وكان دور أثينا تهدئة غضبهن بأن وعدتهن بإغداق الأمجاد عليهن، ولم يعدن منذ ذلك الوقت أرواح الغضب، وإنما أرواح الخير والبركات. وهكذا انصرفن في حراسة موكب موقر إلى معبدهن تحت تل أريس Ares.

شخصيات المسرحية

- الكاهنة البوثية The Pythian Prophetess.
- أبولو Apollo.
- أوريسيتيس Orestes.
- شبح كلوتايمسترا Shade of Clytaemestra.
- كوروس من الفوريات (ربات الانتقام) Chorus of Furies.
- الربة أثينا Athena.
- حرس.

المنظر (١): معبد أبولو في دلفي.

المنظر (٢): معبد الربة أثينا بمدينة أثينا.

الزمن: عصر الأبطال.

التاريخ: سنة ٤٥٨ ق.م. في عيد ديونيسيا المدينة.

* * *

الكاهنة: أعطي أعظم مجد، بين الآلهة، في صلاتي هذه للعرافة الأولى «الأرض»، وبعدها لثيميس Themis لأنها، كما يُقال، أخذت مقعد الوحي الثاني هذا من والدتها. وثالثاً، بموافقة ثيميس وبغير اعتراض من أحد، تأتي تيتانة أخرى هي فويبي Phoebe، ابنة الأرض، ثم منحت هذا المقعد، كهدية ميلاد، إلى فويبوس Phoebus،^٢ الذي أخذ اسمه من فويبي. فغادر بحيرة ديلوس^٣ وتل ديلوس، ونزل على شواطئ بالاس، التي تؤمها السفن. ثم جاء إلى هذه المنطقة ومواضع السكنى على بارناسوس. فرافقه، في احترام وتوقير، أولاد هيفايستوس،^٤ الذين شقوا الطرق العظيمة وروضوا برية الأرض غير المروضة. فلما ذهب إلى أولئك القوم عبده عبادة سامية، كما عبده رعاة ديلفوس Delphus وملك تلك البلاد. وأوحى زوس روحه مع فن ذلك العراف، وثبته على عرشه كعراف رابع في الوقت الحاضر، يتكلم بلسان والده زوس.

هؤلاء هم الآلهة الذين أتوسل إليهم في مقدمة صلاتي. وكذلك تجد بالاس ذات المعبد^٥ تبجياً في كلامي، كما أبجل الحوريات اللواتي يتخذن مساكنهن حيث توجد الصخرة الكوروكية^٦ ذات الكهوف، التي هي بهجة الطيور ومنتدى القوى الإلهية. احتل بروميوس Bromius تلك المنطقة (ولا أنساه) منذ ذلك الوقت. وإن كان إلهاً حقيقياً رأس الجماعة

^٢ لقب من ألقاب أبولو، إله الشمس.

^٣ بحيرة مستديرة في الجزيرة التي ولد فيها أبولو.

^٤ هم الأثينيون، إذ إن إريخثونيوس Erichthonius هو نفس إريخثيوس Erechthius ابن هيفايستوس الذي كان أول من صنع الفئوس.

^٥ محراب بالاس القائم أمام المعبد بجوار دلفي، في الطريق العام المؤدي إلى معبد أبولو.

^٦ تعرف على الكهف الكوروكي Corycian المكرس للحوريات ولبان في الهضبة العظمى بأعلى دلفي.

الباكخية، ودبر موت بنثيوس Pentheus كما لو كان أرنبًا يصطاد. كذلك أتوسل إلى مياه بلايستوس Pleistus وإلى قوة بوسايدون وزوس المدبر البالغ النمو؛ بعد ذلك أتخذ مجلسي فوق العرش ككاهنة. وعسى أن يسمحوا بأن يكون أسعد حظ لي بعيدًا جدًا خارج مداخلي السابقة. وإذا كان هنا أي فرد من بين الهيلينيين، فليدخلوا بالترتيب بالقرعة كالمعتاد، فكما يرشدني الإله سأتنبأ.

(تدخل المعبد، وبعد فترة قصيرة تعود مذعورة.)

يا للفضاعة! إنها فضائع عند روايتها، فضائع لعيني إذ تنظران إليها، أرجعتني من بيت لوكسياس، حتى لم يبق في قوة، ولا أستطيع الانتصاب في مشيتي. أجزى بمساعدة يدي، وليس على أطرافي العديمة الإحساس؛ لأن المرأة العجوز إذا ما تملكها الذعر صارت لا شيء، كلا بل بالحرى، صارت طفلة.

كنت في طريقي إلى المحراب الداخلي المتوج بالكثير من الأكاليل، فإذا بي أرى على «حجر المركز»^٧ رجلًا دنسًا أمام السماء يحتل مكان المتضرعين. يدها تقطران دمًا ويمسك بسيف شهر منذ فترة وجيزة وبغصن زيتون مرتفع متوج بوقار بخصلة من الصوف كبيرة أكثر من المعتاد، من جزة بيضاء، إذ يمكنني الكلام عن هذا في وضوح.

جلست أمام ذلك الرجل جماعة عجيبة من النساء نائمات على عروش. كلا! لسن نساء، هذا أكيد، بل الأصح أن أسميهن جورجونات. في إحدى المرات، قبل ذلك، رأيت بعض المخلوقات المصورة^٨ تخطف الأطعمة من فوق مائدة وليمة فينيوس Phineus غير أن هذه عديمة الأجنحة وحمراوات الشعور، وبغيضات الصورة تمامًا. أما خياشيمهن ذوات الشخير فتنتفث تيارات مخيفة من هواء الزفير، ويسيل من عيونهن سائل قذر. كذلك كان لباسهن غير لائق للظهور أمام تماثيل الآلهة أو في مساكن البشر. لم يسبق أن رأيت قط العشرة التي تضم مثل هذه الجماعة، كما لا أعرف المنطقة التي تفخر بأنها تربي مثل هؤلاء النسوة دون أن يصيبها أذى، ولا تندم على مجهودها.

^٧ أي السرة. هو الاسم الذي أطلقه أهل دلفوس على الحجر الأبيض (وكان في عصر أيسخولوس في أبعد موضع داخلي بمعبد أبولو) الذي اعتبروه يحدد مركز الأرض بالضبط. اكتشف الحفارةون الفرنسيون في دلفي «حجر سرة» يقرب المذبح الأعظم لأبولو، وأحيانًا يستعمل ذلك اللفظ الإغريقي لدلفي نفسها.

^٨ الهاربيات Harpies.

أما عن النتيجة فليهتم بها سيد هذا البيت، لوكسياس نفسه القوي، لأنه مظهر العلاجات الشافية وقارئ الفئول ويطهر مساكن غيره. (تخرج.)

(يظهر داخل المعبد، يدخل أبولو من المعبد الداخلي ويقف بجانب أوريسستيس عند حجر المركز. وبقرب المتضرع تنام الفوريات بينما يقف هيرميس في الخلفية.)

أبولو: كلا! لن أهجرك، فأنا حارسك إلى النهاية، أقف إلى جانبك، وحتى إذا وقفت بعيداً، فلن أكون رقيقاً نحو أعدائي. فأنت الآن ترى هؤلاء النسوة المخبولات مغلوبات على أمرهن. غلب النعاس على هؤلاء العذراوات المغنيات — إنهن طفلات مسنات مجنونات، لا يرافقهن قطُّ أي إله أو أي رجل أو أي حيوان. ما وُلدن إلا للشر؛ إذ إنهن يقمن في ظلام تارتاروس المقيت تحت الأرض — إنهن مخلوقات بغيضات إلى البشر وإلى آلهة أوليمبوس. ومع ذلك، اهرب ولا تكن ضعيف القلب. إذ بينما رحلت في الأرض طاردتك حتى ولو كان ذلك في القارة الفسيحة، وفيما وراء العواصم والمدن التي يحوطها البحر، ولا يتطرقن التعب إليك قبل أن تُكمل طريقك جرياً بالجهد، حتى إذا ما وصلت إلى مدينة بالاس، فاجلس وأمسك تمثالها القديم بين ذراعيك. سنجد هناك وسيلة لتخليصك تماماً من محنتك بالقضاة في قضيتك والكلام ذي السحر المغربي، إذ بناء على وصيتي قتلت أمك. **أوريسستيس:** أيها السيد أبولو، لم تعرف أن تكون غير عادل، وبما أنك تعرف، فتعلم أيضاً ألا تكون عديم الاكتراث. فإن قوتك على فعل الخير ضمان ملائم.

أبولو: تذكر ألا تدع الخوف يسيطر على روحك. واسهر على مراقبته، يا هيرميس، يا أخي ودم أبي. كن جديراً باسمك وصر «مرشده»^٩ أرشد المتضرع إلى هذا، وأنت في صورة راع — الحقيقة أن زوس يمجد حق المنبوزين المقدس — على أن يُساق إلى أناس بإرشاد مزدهر.

(يخرج أوريسستيس برفقة هيرميس، فيظهر شبح كلوتايمسترا.)

شبح كلوتايمسترا: أأنتن نائمات؟ ما شاء الله! وهل هناك حاجة إلى النائمت؟ بسببكن لحقتني الإهانة بين غيري من الموتى. ولا يكف الموتى عن تأنيبي بسبب أعمالتي

^٩ هيرميس مرشد الأحياء في أسفارهم، ومرشد أرواح الموتى إلى العالم السفلي.

الدموية، فأهيم على وجهي مجللة بالعار. أقرر لَكُنَّ أنهم يتهمونني اتهامات محزنة للغاية. ومع ذلك، فقد قاسيت هذا من أقرب أقربائي، ولم تغضب أية قوة إلهية من أجلي، إذ قُتلت بيد ابني نفسه. انظرن إلى هذه الجروح التي في قلبي، من أين أتت! يستطيع العقل النائم أن يرى بوضوح، أما في وقت النهار فلا يمكن التنبؤ بمصير البشر. الحقيقة أنك شربتن كثيراً من تقدماتي؛ سكائب خالية من الخمر، وترضية عظيمة. وكم من ولائم في الليل الهادئ زاخرة بالذبائح على وطيس نار في ساعة لا يشترك فيها أي إله. أرى أن كل ذلك قد وُطئ تحت الأقدام. إذ هرب منكن وانطلق كأنه غزال. نعم، أفلت من وسط شرككن ساحراً منكن وهو يغمز بعينه مزدرياً. أصغين إليّ! بما أنني أترافع من أجل حياتي، فاستيقظن وُعدن إلى وعيكن يا ربات العالم السفلي! إنني أحثكن الآن في حلم! أنا كلوتايامسترا.

(يبدأ الكوروس يتحرك في قلق بينما يغمغم.)

غمغمن ما شتتن! ولكن الرجل انصرف. هرب بعيداً لأن له أصدقاء ليسوا كأصدقائي!

(يستمر الكوروس في الغمغمة.)

إنكن مثقلات جداً بالنوم، ولا تأخذن أية شفقة على محنتي. لقد انصرف من هنا أوريستيس، قاتل أمه!

(يبدأ الكوروس يئن.)

ما هذا الأئين، وما هذا النوم، ألا تنهضن في الحال؟ أي عمل نُسب إليكن غير فعل الشر!

(يستمر الكوروس في الأئين.)

لقد أفسد النعاس والتعب، هذان المتآمران المناسبان، قوة التينينات المرهوبات. الكوروس (في همهمة مضاعفة وشديدة): اقبضوا عليه! اقبضوا عليه! اقبضوا عليه! اقبضوا عليه! اقبضوا عليه! اعرفوه!

شبح كلوتايامسترا: إنكن تصدن فريستكن في حلم، وتزمرن ككلب صيد لا يترك الأثر إطلاقاً. أي عمل لديكن الآن؟ انهضن! لا تسمحن للتعب بالسيطرة عليكن، ولا للنوم

بأن يوهن عزائمك لئلا تنسين ما أصابني من ظلم. أُوخزَنَ قلوبك بالتعنيف اللازم، فالتعنيف مهماز العقل السليم. أطلقن عليه أنفاسكن الدموية، أوقفن حركته ببخار ناري من أعضاءكن الحيوية، هيا وراءه، أضعفنه بالمطاردة بنشاط متجددا!

(يختفي شبح كلوتايمسترا. توقظ رئيسة الكوروس الفوريات فيستيقظن واحدة بعد أخرى.)

الكوروس: استيقظي يا هذه! أيقظيها كما أيقظتك. ألا تزال نائمة؟ استيقظي. انفضي النوم عن عينيك، وهيا ننظر ما إذا كان هناك شيءٌ وقد ضاع عبثاً في هذه المقدمة.^{١٠} أوَاه، أوَاه! يا للأسف لقد أصابنا الضرر، أيتها الصديقات. حقاً، أصابني الضرر في كل شيءٍ ضاع بغير جدوى. لقد أصابنا ظلم فادح، بكل أسف! إنه ضرر لا يُطاق، إذ أفلت صيدنا من بين أيدينا وانطلق.

يا للعار! أنت، يا ابن زوس؛ إنك قد تعودت السرقة. وأنت لا تزال شاباً، قد تخطيت الآلهة المسنة بإظهارك الاحترام للمتضرع إليك، وهو شخص لا آلهة له، شخص قسا على والدته. فرغم كونك إلهاً فقد سرقت ذلك الذي قتل أمه.

ماذا هنا يستطيع أي فرد أن يسميه عدلاً؟
جاءني إله اللوم في حلم، وضربني، كما لو كان سائق عربية، بمنخس كان يقبض عليه بشدة، فوخزني تحت قلبي، تحت أعضائي الحيوية.
إن من حقي القبض على ذلك القاسي، ذلك البالغ القسوة، الذي تحدى العقاب المخيف لعوامل القدر.

هكذا أعمال الآلهة الأصغر سنًا، الذين يحكمون بعيداً عن جانب الصواب. عرش يقطر دمًا على قدميه وعلى رأسه.
إن من حقي أن أرى حجر مركز الأرض وقد لوته دم نجس فظيع.

^{١٠} ليس كلام الفوريات وهن يوقظن أنفسهن للعمل سوى مقدمة للتعبير الكامل عن غضبهن. ولسنا متأكدين مما إذا كانت المقطوعتان الأولى والثانية قد أنشدتا بأصوات فردية أو بأصوات أشباه الكوروسات.

فرغم كونه نبياً، فإن بأمره وبطلبه العاجل قد لوث معبده بالدنس عند وطيسه، وخالف أوامر الآلهة بتمجيده الكائنات البشرية، وضرب باختصاصات الآلهة الأكبر سناً، عرض الحائط.

كما أنه جلب المحنة عليّ، ولكنه لن يستطيع تخليصه. فمهما طار إلى ما وراء الأرض فلن يطلق سراحه. فإذا تلوث بحريمة القتل، فسيكون على رأسه منتقم آخر من أقاربه.^{١١}

(يدخل أبولو قادمًا من المعبد الداخلي.)

أبولو: انصرفن من هنا، إنني لأمركن! اخرجن الآن من هذا البيت، اتركن معبدي التنبئي لئلا يضربكن ثعبان لامع مجنح^{١٢} يطلق من وتر قوس مصنوع من الذهب، فنتقيان الزبد الأسود الذي امتصصتته من البشر، والدم المتخثر الذي شربته. والحقيقة أن هذا بيت غير ملائم لمجيئكن. فمكانكن هو الموضع الذي به أحكام قطع الرءوس؛ وفقء العيون وضرب الأعناق. حيث تحطم رجولة الشباب بإتلاف البذرة، حيث يُعذب الرجال ويُرجمون حتى يموتوا وحيث يُعدمون بالخازوق تحت العمود الفقري، فيبتنون أنيناً طويلاً مؤلماً. أسمعتن أي نوع من الولاتم محبب إليكن حتى يجعلكن مقينات لدى الآلهة؟ ها أنا ذا وضعت أمامكن جميع الصور الملائمة لكنّ. يجب على المخلوقات المشابهة لكنّ أن تقيم في عرين أسد لاقق دم، كي لا تنشرن التلوث في كل ما حواليلكن في محراب الوحي هذا. اغربن من هنا، أيها القطيع الذي لا راعي له! لا يحب أي إله مثل هذا القطيع.

الكوروس: أيها السيد أبولو، استمع بدورك إلى رَدِّنا، إنك المحرّض على هذه الفعلة، أنت نفسك. إنها من فعلك أنت وحدك، وتقع الجريمة كلها عليك.

أبولو: ماذا تعنين؟ أوضحن كلامكن أكثر من هذا.

الكوروس: إنك حرّضت الغريب بنصيحتك على أن يقتل والدته.

^{١١} كما أن أجاممنون قد قُتل بيد كلوتايمسترا، وكما قُتلت كلوتايمسترا بيد أوربستيس، كذلك ستكون الحال مع أوربستيس فيقتله أحد أفراد أسرته.

^{١٢} يسمى سهم أبولو الذي يطلقه من وتر قوسه الذهبي «ثعبان لامع مجنح» لأنه يوخز كلدغة الثعبان، كما أن هناك تلاعباً بالألفاظ في كلمة ophis ومعناها «ثعبان» إذ توحى بكلمة ios، أي «سم الثعبان» ومعناها أيضاً «سهم».

أبولو: بل حرصتُ بوصيتي على أن يأخذ بثأر أبيه. وماذا إذن؟
الكوروس: بعد ذلك شغلت نفسك بإيواء قاتل متلبس بجريمة الدم.
أبولو: وأمرته بأن يأتي إلى هذا البيت ليتطهر.
الكوروس: ثم تؤنبننا حقيقة على أننا أسرعنا به ليأتي إلى هنا؟
أبولو: نعم، لأنه ما كان يليق أن تأتين إلى بيتي هذا.
الكوروس: ولكن عهد إلينا بهذه المهمة.
أبولو: وما مهمتك هذه؟ الزهو بامتيازكن الأمجد!
الكوروس: إننا نطاردهم من يقتلون أمهاتهم ونخرجهم من بيوتهم.
أبولو: ولكن، ماذا عن الزوجة التي تقتل زوجها؟
الكوروس: ليس هذا قتل شخص قريب من نفس الدم.
أبولو: الحقيقة أنكن تعملن على تراكم الإهانة والاحتقار على عهود هيرا المتممة، وعهود زوس.^{١٣} كذلك نبذت كوبريس Cypriis^{١٤} مجلة بالعار بحجتكن هذه، ومنها أخذ قومها أقرب أفراحهم وأعزها. فإن الزواج الذي حدده «القضاء» بين الرجل والمرأة أقوى من اليمين، وتحرسه العدالة. فإذا قتل أحد الزوجين الآخر كتنن متراخيات في عدم عقابهما أو زيارتهما بغضبكن، إذن فأنا أحكم على مطاردتك لأوريستيس بأنها لا تنطوي على أية عدالة؛ إذ أرى أن السبب في إحدى هاتين الجريمتين، أنكن تمقتنه في قلوبكن بينما أنتن أكثر تهاوناً في التنفيذ في حالة الأخرى. وستنظر الربة بالاس في المرافعات الخاصة بهذه القضية.

الكوروس: لن نترك هذا الرجل إطلاقاً!
أبولو: إذن، فطاردهه واجررن على نفوسكن متاعب جمّة.
الكوروس: لا تحاول اقتطاع بعض امتيازاتنا بكلامك هذا.
أبولو: لن أخذ امتيازاتكن هذه هدية.

^{١٣} كانت هيرا teleia فيما يختص بالزواج، كما كان زوس telenos، وهذه الصفة تناسبه هنا أيضاً. وقد اشتق القدماء telenos (خاص بالزواج) من telos ومعناها «طقس ديني» أو «التزويج» كما تفيد هذه الكلمة الأخيرة معنى «السلطة العليا» أو «القوة الكاملة» ويقول بعض العلماء إن هيرا teleia هي هيرا الملكة، أو هيرا الزوجة.

^{١٤} اسم لأفروديتي، ربة الحب والجمال عند الإغريق.

الكوروس: كلا، هذا لأنك، على أية حال، معتبر عظيمًا بواسطة عرش زوس. أما أنا، فبما أن دم الأم يقودني، فسأستمر في قضيتي ضد هذا الرجل، وحتى الآن، سأقتفي أثره.

(يخرجن.)

أبولو: وسأنقذ المتوسل إليّ وأنجيه! لأن غضب من يسعى إلى التطهير، مفرع في السماء وعلى الأرض، إذا هجرته من تلقاء نفسي (يدخل المعبد).

(يتغير المنظر إلى أثينا، أمام معبد الربة أثينا. يدخل هيرميس مع أوريسستيس، الذي يعانق تمثال الربة القديم.)

أوريسستيس: أيتها الملكة أثينا، ها أنا ذا أتيت طاعة لأمر لوكسياس، فتكرمي بفضلك وإحسانك بقبول بائسٍ نزلت به اللعنة، غير متضرع للتطهير، ولا طاهر اليد، بيد أن حافة جريمتي مثلثة وبالية في المساكن الأخرى وفي ممرات الرجال المطروقة. اتخذت طريقي في البر وفي البحر على حد سواء، طاعة لنصائح وحي لوكسياس، وها أنا ذا أتقدم الآن من بيتك وتمثالك، أيتها الربة. سأأخذ موضعي هنا، وأنتظر نتيجة المحاكمة.

(تدخل الفوريات متفرقات، مقتفيات أثر أوريسستيس بالرائحة.)

الكوروس: مرحى! ها هنا أثر ذلك الرجل، وإنه لواضح! اقتفين أثر المرشد الصامت. فكما يقتفي كلب الصيد أثر غزالٍ جريح، كذلك نقتفي نحن أثره بقطرات الدم. يلهث قلبي من عملي الشاق المتعب، إذ جبت كل مناطق الأرض، وجئت طائرًا بغير أجنحة، أطارده فوق البحر مسرعةً كسفينة سريعة؛ لذا فهو مختبئ الآن في مكان ما. إن رائحة الدم البشري لتضحكني طربًا.

انظرن! انظرن ثانية! ابحثن في كل بقعةٍ لئلا يهرب قاتل أمه، ويتسلل خلسةً في طيران سري دون أن يدفع دَينه!

نعم، إنه هنا ثانية! في مخبأ، وذراعه تطوقان تمثال الربة الخالدة، يتلهف إلى أن يقدم للمحاكمة من أجل دَينه!^{١٥}

^{١٥} يبدو أن كلمة «خيرون» اليونانية معناها «فعلة عنف».

ولكن قد لا يحدث هذا. فإن دم الأم المسفوك على الأرض، أكثر من أن يجدي فيه علاج. أوّاه، ما إن يُراق التيار المتدفق على الأرض حتى يضيع ويذهب!
كلا، لا بد أن تقاسي في نظير ذلك، أن أمتص كتل الدم الحمراء من أعضائك الحية. هل لي أن أغذي نفسي بك — جرعة بشعة!
سأضعف قوتك وأنقلك حياً إلى العالم السفلي؛ لتنال العقاب جزاء ألم والدتك المقتولة. وسترى كل شخص غيرك من البشر يكون قد أثم إثم عدم احترام الإله أو الغريب أو والديه العزيزين، فينال كل فرد منهم جزاءه من العدالة.
لأن إله الموت قويٌّ في محاسبة البشر تحت الأرض، ويشرف على كل شيء بعقله المسجل.

أوريستيس: وإذ علمتني المحنة، فلدي معلومات عن كثير من قوانين التطهر، وأعرف متى ينبغي الكلام، ومتى يجب الصمت، وفي حالتي الحاضرة هذه قد أمرني بعلم حكيم، بأن أتكلم؛ لأن الدم الذي على رأسي نائم الآن ومتملاش — لقد غسل التلوث الناتج عن قتل أُمِّي؛ إذ بينما كان لا يزال طرياً أزاله وطيست إليه، أزاله فوييوس بتطهير الخنازير المذبوحة. كانت قصة طويلة أرويهها منذ بداية كل ما زرته، ولم يصبني أدنى بإقامتي معهم (يُبلي الزمن العجوز كل الأشياء التي تغدو مسنة أثناء ذلك).

لذا، أتوسل الآن بتقوى، بشفتين نقيتين، إلى الربة أثينا، ملكة هذه البلاد، لكي تهرع إلى مساعدتي. فبدون مجهودٍ من رمحها ستربحني وتربح بلادي وشعب أرجوس كحلفاء أوفياء أمناء، إلى الأبد. ولكن سواء أكانت في منطقة ما من الأرض الليبية، أو في مياه تريتون Triton، ذلك المجرى الذي وُلدت فيه، تعمل أو ترتاح،^{١٦} تساعد أولئك الذين تحبهم؛ أو تكون كقائد جريء يذرع السهل الفليجراياني Phlegraean^{١٧}، ليبتها تحضر — فإذا كانت ربة، كما هي، فإنها تسمع من مسافة بعيدة — لتكون مخلصتي من محنتي!

الكوروس: كلا، كن على يقين من أنه لن ينقذك من الهلاك أي إله، لا أبولو ولا أثينا، بل تظل محتقراً ومهملاً، ولا تعرف أين يكون الفرح في روحك — وإنما ستكون ذبيحةً عديمة الدم، للقوى السفلي، شبحاً لنفسك.

^{١٦} المعنى الحرفي: «تضع قدمها قائمة أو مغطاة.» قد يكون الشاعر يفكر في تماثيل الربة، فإن لفظة orthon تشير إلى وضعية قائمة، كما تشير الكلمة اليونانية «كاتيريبي katerephe» إلى ثوبها الطويل المتدلي على قدميها عندما صُوّرت جالسة.

^{١٧} مسرح معركة الآلهة والعمالقة التي قتلت أثينا فيها إنكيلادوس Enceladus.

ماذا! ألا تكلف نفسك حتى مئونة الرد؛ بل تحتقر كلامي أيتها الضحية المسمنة والمكرسة لي؟ لن تذبح على مذبح، وإنما ستكون وليمتي وأنت حي، وستسمع الآن أنشودتي التي تربطك بتعويدتها.

هيا، الآن إلى الرقص أيضاً إذ عزمنا على عرض أنشودتنا المحزنة، ونبين وظيفتنا، فكيف تدير جماعتنا شئون البشر. نعلن أننا عادلون ومستقيمتان. من يمد الأيدي غير مدنسة فلن يعتدي عليه أي غضب لنا، ويقضي حياته كلها سليماً بغير أدنى. أما من يقترب الجريمة التي اقترفها هذا الرجل ويخف يديه الملوّثين بالدماء، فإننا نقدم أنفسنا كشاهدات عادلون لأجل القتل، ونظهر ضده إلى النهاية كمننقاتم للدم المسفوك.

يا ربة الليل الأم، أيتها الأم التي ولدتني لأكون عقاباً للموتى وللأحياء، اسمعيني! لأن ابن ليتو Leto يريد أن يجلب العار عليّ بالإفلات من قبضتي؛ أنت أيها النذل القابع، والذبيحة الملائمة للتكفير عن دم الأم.

هذه أنشودتنا تنزل على فريستنا المكرسة لنا، زاخرة بالجنون، مفعمة بالخبل، تبلبل المخ، أنشودة الفوريات تعويذة تربط الروح دون أن تصاحبها أية نغمة على القيثارة، توهن حياة ذلك الرجل البشري.

لأن هذه هي الوظيفة التي عهد بها إلينا المصير الدائم المعرفة وهو يغزل خيط حياتنا، ووظيفة نحفظ بها دون تغيير؛ أن ننزل على أولئك البشر الذين يقتربون جريمة قتل الأقارب، ننزل عليهم إلى أن يأتي الوقت الذي يمرون فيه إلى ما تحت الأرض، ولا يتمتعون بحرية كبيرة بعد الموت.

هذه أنشودتنا تنزل على فريستنا المكرسة لنا، زاخرة بالجنون، مفعمة بالخبل، تبلبل المخ، أنشودة الفوريات تعويذة تربط الروح دون أن تصاحبها أية نغمة على القيثارة، توهن حياة ذلك الرجل البشري.

عهد إلينا بهذه الوظيفة عند مولدنا، ولكن الخالدين لا يستطيعون وضع أيديهم علينا، ولا يشاركونا في ولأئنا أئى واحدٍ منهم، أما أثواب الأعياد الناصعة البياض فلا حظ لي فيها ولا نصيب.

لأنني جعلت همي كوارث البيوت، كلما دب النزاع في البيت، وصرع أحد الأفراد القريب العزيز. عند ذلك أسرع وراء ذلك الرجل، وعلى الرغم من كل قوته نجعله يذوي بسبب فعلة دموية جديدة.

انظروا، إننا نتلهف إلى أن ننتزع هذه المهمة من إله آخر، ونصدر قرارًا بأن لا سلطة للآلهة على ما يتعلق بي، حتى لا يأتي أمامهم للمحاكمة؛ لأن زوس اعتبر جماعتنا المقيتة مصاصة الدماء هذه غير جديرة بحديثه.

لأنني جعلت همي كوارث البيوت، كلما دب النزاع في البيت وصرع أحد الأفراد القريب والعزيز، عندئذ أسرع وراء ذلك الرجل، ورغم كل قوته، نجعله يذوي بسبب فعلة دموية جديدة.

أما البشر ذوو الأفكار المتغترسة، الذين يعتبرون أنفسهم قد بلغوا السمو تحت السماء، فهؤلاء يذبلون ويسقطون في خزي تحت الأرض بهجومنا الدموي وإيقاع أقدامنا المنتقمة.

لأنني موقنة أنني بوثة قوية من أعلى سأوقع به قوة السقوط الثقيلة لقدمي، تلك الأطراف التي تلحق حتى بالعدائين السريعي الجري، فتكون سقطة لا يمكن احتمالها. ولكنه بينما يسقط، لا يعرف ذلك بسبب غباوته التي لا يحس بها. فيحلق التلوث في غمامة دكنا فوق ذلك الرجل! وتعلن الإشاعة الزاخرة بالكثير من الويلات، أن ظلامًا أشبه بالضباب يخيم فوق بيته.

لأنني موقنة أنني بوثة قوية من أعلى سأوقع به قوة السقوط الثقيلة لقدمي، تلك الأطراف التي تلحق حتى بالعدائين السريعي الجري، فتكون سقطة لا يمكن احتمالها. لأنه سيظل مقررًا أننا نظل ماهرات في التدبير، مهتمات بفعل الشرور، مخيفات وقاسيات على الجنس البشري، نمارس وظيفتنا مجلات بالعار ومحتقرات ومعزولات عن الآلهة بضوء ليس للشمس؛ وظيفه تجعل طريق الأحياء وعزًا وكذلك طريق الموتى أيضًا. مَنْ من البشر، إذن، لا يهرب ذلك ولا يفزع منه، عندما يسمع من شفتي الحق المخول لي بواسطة القدر، بقرار من الآلهة لإنجازه على أكمل وجه؟ لا يزال حقي الشرعي القديم قائمًا، ولن يلحقني العار رغم أن مكاني المحدد هو تحت الأرض، وفي ظلام لا تنفذ إليه الشمس.

(تدخل أثينا ممسكة بالترس «الأيجوس».)

أثينا: سمعت من بعيد صوتًا يطلبني، من سكاماندر. منذ مدة وأنا أملك الأرض التي أعطانيها قادة الأخائيين ورؤساؤهم، كنصيبي من الأسلاب التي ربحها رماحهم على

أن تكون لي إلى الأبد. هدية مختارة إلى أبناء ثيسوس.^{١٨} لذا أتيت مسرعة وقدمي غير المتعبة تحف في الهواء وأنا أستخدم ثنيات ترسي^{١٩} بدل الأجنحة. عندما أتطلع إلى ذلك الجمع غير المألوف من زوار أرضي، أخشى في الحقيقة ألا أشعر إلا بما يدهش عيني. من أنتم في هذا العالم؟ إنني أخطبكم جميعاً، الغريب الراكع عند تمثالي، وأنتن يا من لا تشبهن أي جنس من المخلوقات المولودة التي لم ترها الآلهة بين الربات، وما من شبه بينكن وبين الجنس البشري، ولكن التحدث بالسوء عن جار بريء من الإثم، بعيد عن العدل، غير أن العدل يعلو.

الكوروس: يا ابنة زوس، ستسمعين كل شيء باختصار. إننا بنات الليل المرهوبات، ويطلق علينا زملاؤنا سكان ما تحت الأرض اسم «اللعنات».

أثينا: عرفت الآن سلسلة نسبكن والأسماء التي أُطلقت عليكم.

الكوروس: وسرعان ما ستعلمين وظيفتنا أيضاً.

أثينا: سأفهمها إذا أخبرت بها في وضوح.

الكوروس: نطرد قاتلي البشر من بيوتهم.

أثينا: وأين هي منطقة نفوذ القاتل الهارب؟

الكوروس: حيث يغيب الفرح ولا يُعرف.^{٢٠}

أثينا: أحقاً أنك تريدن مطاردته بكلامك، إلى مثل هذا الهروب؟

الكوروس: نعم، لأنه اعتبر أن واجبه قتل أمه.

أثينا: وهل ذلك بناء على ضغط آخر، أو لخوفه من غضب شخص ما؟

الكوروس: أين يكون هناك حافظ قوي يضطر الشخص إلى قتل أمه؟

أثينا: هنا طرفان حاضران، ولم أسمع سوى نصف القضية.

الكوروس: ولكنه لم يحلف اليمين، وليس على استعداد لأن يقسمها.

^{١٨} تؤكد أثينا ملكيتها، منذ القدم، لمنطقة سيجيوم Sigeum، وقد ربحها الأثينيون من الميثوليين Mityleneans، الذين هُزموا في زمن مبكر يرجع إلى القرن السادس ق.م.

^{١٩} السطر ٤٠٥، وهو «ربطت جيايدي، التي من الدرجة الأولى، في عربتي»؛ يناقض ما ورد في الأشعار السابقة، وقد يكون تديلاً لجزء لاحق من المسرحية، عندما تظهر أثينا في عربة.

^{٢٠} المعنى الحرفي هو: «حيث لا يُستعمل الفرح (أو كلمة الفرح) في أي مكان».

أثينا: إنك على استعداد لأن تكوني عادلة بالاسم أكثر منك بالفعل.
الكوروس: وكيف يكون ذلك؟ علميني لأنك لست ضعيفة في فنون الدهاء.
أثينا: أقول إن الأيمان لا يجب أن تكسب الانتصار للظلم.
الكوروس: حسنًا، إذن فأسأليه، ثم انطقي بحكمك العادل.
أثينا: أتعهدن لي حقًا بإصدار القرار في التهمة؟
الكوروس: وكيف لا، تبيجلاً لمولدك النبيل العظيم.
أثينا: ماذا تقول أيها الغريب رداً على هذا؟ أخبرني، أولاً بدولتك، ونسبك، وثروتك، ثم دافع عن نفسك فيما يختص بهذه التهمة، وإذا كان الأمر كذلك، فاعتمداً على عدالة قضيتك تجلس أنت هنا متشبهاً بتمثالي بشدة إلى جانب وطيسي، متضرعاً مقدساً على طريقة إكسيون Ixion.^{٢١} أجبني بوضوح على كل ما سألتك عنه.
أوريسستيس: أيتها الملكة أثينا، سأزيل أولاً تشاؤماً عظيماً يختفي في ثنايا حديثك الأخير. الحقيقة أنني لست متضرعاً في حاجة إلى التطهير، ولم أسقط عند قدمي تمثالك ملوث الديدن. وسأقدم لك برهاناً قوياً عن هذا. ينص القانون على أن الملوث بسفك الدماء لا بد أن يُمنع من كل حديث، إلى أن يرشه بدم ذبيحة رضيع من له حق التطهير من القتل. لقد تطهرت هكذا في بيوت أخرى منذ مدة بواسطة كل من الذبائح والأنهار الجارية.
إنني أُزيل هذا السبب الذي يقلقك. أما عن نسبي فستسمعين عنه. إنني أرجوسي، وكان والدي — وحسنًا استفسرت عنه — أجاممنون الذي قاد الجيش البحري الذي ساعدته في أن يجعل إيليوم، مدينة أرض طروادة، خراباً ولم تعد مدينة، وفي أثناء عودته إلى وطنه هلك بطريقة غير مشرفة؛ إذ قتلته والدتي ذات القلب الأسود؛ وأوقعته في شرك ماكر، لا يزال باقياً ليشهد على موته. وعندما رجعتُ إلى وطني — وكنت منفيًا قبل ذلك — قتلت تلك التي ولدتني — ولا أنكر هذا — انتقاماً لمقتل والدي الذي كنت أحبه أكثر من أي شيء. ثم إن لوكسياس مسئول معي في هذه الفعلة؛ إذ حرصني على فعلها وهددني بويلات قاسية إذا أخفقت في إنزال هذه الفعلة بالجانية. وإن لك مطلق الحكم فيما إذا كانت فعلتي تلك عادلة أو غير عادلة؛ لأنني سأرضى بحكمك وسيرتاح له ضميري.

^{٢١} قتل إكسيون ملك اللابيثيين Lapiths حماه، فطهره زوس بعد أن رفض الآلهة الآخرون تطهيره.

أثينا: هذا الأمر جد جسيم. فإذا اعتقد أي إنسان أن بالإمكان إصدار حكم في هذا؛ كلا، فليس من الشرعي، حتى لي، أن أصدر حكماً في قضايا القتل التي تتطلب غضباً عاجلاً. ولكن، قبل كل شيء، بما أنك جئت مطهراً بالطقوس الكاملة الأداء، ومتضرعاً طاهراً عديم الأذى إلى بيتي، فسأحترمك اجتناباً للإساءة إلى مدينتي. غير أن لهؤلاء النسوة وظيفة لا تسمح بصرفهن بسرعة وبسهولة، وإذا أخفقن في إحراز الانتصار في هدفهن، سقط السم من استيائهن، على الأرض، وصار بعد ذلك وباء مستمراً يصيب البلاد ولا يطيقه الأهليون.

إذن، فهذا وضع هذه القضية: كلا الأمرين — أن نحتمل بقاءهن أو نطردهن — مليء بالمكاره ويحيرني، ولكن طالما قد أسندت هذه القضية إليّ، فسأعين قضاة مختصين في قضايا قتل الإنسان، مرتبطين بقسم، وأكون محكمة، محكمة تظل باقية على الزمن. فهل لك أن تستدعي شهودك، وتقدم أدلتك، برهاناً مدعماً باليمين لتبرير قضيتك. وسأعود بعد أن أنتقي خيرة مواطني كي يصدروا الحكم بما يتفق والحقيقة، بعد ارتباطهم بقسم ألا ينطقوا بحكم بجانب العدالة.

(تخرج.)

الكوروس: الآن نهاية كل الأشياء التي تنمو بالقوانين الجديدة. إذا كان لقضية قاتل أمه الظالمة أن تنجح، فستجر جميع الناس مباشرة إلى الإباحية. والحقيقة أن الآباء والأمهات سينتظرون كثيراً من الجروح، في المستقبل، على أيدي أولادهم. بما أنه لن يقترب منا، نحن الفوريات الثائرات الدائمات السهر على البشر، أي غضب من مثل هذه الجرائم، فسأطلق الموت من عقاله بكل صورة. وبينما يتوقع إنسان ما حالة جاره السيئة، فإنه سيطلب أخرى عندما ينتهي العقاب أو يخفض. ويقدم البائس المسكين تعزية العلاجات غير الناجعة، التي لا تأتي بأي شفاء محقق. لا يصرخن أي فرد منذ الآن، عندما يصيبه ضرر، ولا يتضرعن بصوت عال، قائلاً: «يا للعدالة!» «يا لأرواح الانتقام المتوجة!» قد يتصادف أن يبكي أب ما أو أم ما، أصابهما ضرر، إذ سقط بيت العدالة الآن.

هناك أوقات يسود فيها الخوف ويظل متوجّها كحارس للقلب. وإنه لمن المفيد أن نتعلم الحكمة بالآنين. ولكن، من ذلك الذي يدرّب قلبه على عدم الخوف، سواء أكان رجلاً أو دولة، ويحترم العدالة في المستقبل، كما يحدث هنا؟

لا تعجبَنَّ حياة محكومة، ولا حياة تخضع لسلطان طاغية. يعطي الرب النصر للاعتدال في كل شيء، أما نواميسه الأخرى فيديرها بطرق شتى. إنني أقول الحق في أوانه؛ لأن الغطرسة وليدة عدم التقوى، ما في ذلك ريب؛ أما سلامة الروح فتولد السعادة العزيزة على الجميع، والتي كثيرًا ما يطلبها الناس في صلاتهم.

قصارى القول في الموضوع كله، أقول لك: احترم مذبج العدالة ولا تحتقره بأن تدنسه بقدم كافرة، لأن عينيك تتطلعان إلى الريح الدنيوي؛ وإلا نزل بك العقاب. يسود الحكم المحدد؛ لذا فليضع الإنسان في المكان الأول من التقدير، البر الذي يدين به لوالديه، ويحترم الغريب الذي يرحب به داخل أبوابه.

من كان عادلاً من تلقاء نفسه بغير رادع فلن يخفق في سعادته ولن ينقطع تمامًا. أما من يذنب في تحدٍّ جريء، ويتمرغ في ثراء جمعه بطرق غير مشروعة، أقول إنه سيمزق شراعه إذا ما هبت عاصفة، وينكسر فوقه إذا ما تداعت السارية.

إنه ينادي من لا يسمعون، ويناضل عبثًا وسط المياه ذات الدوامات ... تضحك السماء من الشخص المستهتر وهي تنظر إليه، ذلك الذي يفخر بأن هذا لن يحدث إطلاقًا؛ فيصبح عندئذٍ عاجزًا أمام محنته غير القابلة للعلاج، ولا يقدر على تخطي الموجة العالية. فتتخبط سفينته فوق حاجز العدالة، ويزول الرخاء الذي تمرغ فيه طول حياته، ويهلك دون أن يبكيه أو يراه أحد.

(تدخل أثينا في موكب وحاجب، وطائفة المحلفين المكونة من رجال الأريوباجوس، وحشد من المواطنين. ينتقل أوريستيس إلى المكان المخصص للمتهمين. يظهر أبولو بعد أول خطبة لأثينا.)

أثينا: أيها الحاجب، أعط الإشارة، وأبعد الجمهور، ولبس البوق التورهييني Tyrhene^{٢٢} الميء بنفس الإنسان، صوته المجلجل إلى القوم! فبينما تمتلئ قاعة المجلس هذه، فحري أن يسود الصمت، وتعلم أوامري لكل من المدينة بأسرها، إلى الأبد، ولهؤلاء المتقاضين، كي يُحكم في قضيتهم بالعدل.

(يدخل أبولو)

^{٢٢} اعتُبر الإيتروسكيون مخترعي البوق.

الكوروس: أيها السيد أبولو، احكم في اختصاصك، قرر الدور الذي قمت به في هذه المسألة.

أبولو: جئت لأكون شاهداً — لأن المتهم الواقف هناك متضرع بالطريقة الشرعية ومن المقيمين بمعبدتي، وأنا الذي حرضته على فعلة الدم الذي أراقه، ولأكون محاميّه أنا نفسي. إنني المسئول عن قتله أمه. (إلى أثينا) أعدّي القضية بنفسك وباشريها بحكمتك إلى أن يصدر القرار النهائي.

أثينا (إلى الفوريات): الكلام لكُنْ، إنني أعد القضية، فيتكلم المدعي أولاً، ويخبرنا بالوقائع.

الكوروس: نحن كثيرات، بيّد أن كلامنا سيكون موجزًا (إلى أوريستيس) أجب على أسئلتنا سؤالاً سؤالاً. فأولاً: هل قتلت أمك؟

أوريستيس: قتلتها. لا أنكر هذا.

الكوروس: هذه لنا، من السقطات الثلاث.^{٢٢}

أوريستيس: تفخرين بهذا، مع أن عدوك لم يسقط بعد.

الكوروس: ومع ذلك، فيجب أن توضح لنا الطريقة التي قتلتها بها.

أوريستيس: أرد على هذا بأنني طعنتها في رقبتها بسيف كان في يدي.

الكوروس: من الذي حرضك، وبنصيحة من؟

أوريستيس: بإيعاز هذا الإله المقدس، وهو شاهدي.

الكوروس: هل لقنك العراف أن تقتل أمك؟

أوريستيس: نعم، ولهذه الساعة لا ألوم حظي.

الكوروس: ولكنك إذا وقعت في قبضة الحكم قلت حكاية أخرى بأسرع ما يمكن.

أوريستيس: لي ثقة طيبة. سيرسل أبي نجدة من قبره.

الكوروس: إذن فأنت تثق بالموتى، يا قاتل أمك!

أوريستيس: نعم، أثق بهم لأنها ملطخة بتلوث مزدوج.

الكوروس: وكيف ذلك، بالله عليك؟ فسر هذه للقضاة.

أوريستيس: لأنها قتلت زوجها، وبذلك قتلت أبي.

^{٢٢} كانت نتيجة المصارعة تتقرر بالسقوط ثلاث مرات.

الكوروس: ولذا، رغم أنك حي، فهي مطلقة السراج بموتها.^{٢٤}

أوريستيس: ولكن لماذا لم تطارديها وهي حية إلى المنفى؟

الكوروس: لأنها لم تكن ذات قرابة دموية بالرجل الذي قتلته.

أوريستيس: وهل قرابتي بوالدتي دموية؟

الكوروس: مَنْ غيرها، أيها الرجل الملوث بالدم، قد غذتكَ تحت منطقتها؟ ألا تعتبر

أقرب رباط هذا هو دم الأم؟

أوريستيس: هل لك، يا أبولو، أن تدلي بشهادتك الآن؟ وأرجوك أن تفسر القانون

فيما إذا كنت محقاً في قتلها؛ إذ إنني لا أنكر أنني فعلت الفعل كما فعلتها. ولكن هل تبدو

هذه الفعلة لفهمك أنها قد نُفذت بحق وبعدالة، أو بغير ذلك؟ أخبرني بهذا حتى أقوله

للمحكمة.

أبولو: سأوجه الكلام إليك، أيتها المحكمة العليا التي خلقتها أئينا، بحسب ما تأمرني

به العدالة، فإذا كنت عرافاً فلا يمكنني أن أنطق بالكذب. لم أتكلم حتى الآن على

عرش وحيي بشيء يمس رجلاً أو امرأة أو الصالح العام، إلا بما يأمرني به زوس والد

الأولمبيين.

لاحظوا قوة حجة العدالة هذه، وإنني لأكلفكم بأن تطيعوا مشيئة «الأب»؛ إذ ليس

لليمين سلطة أعظم من سلطة زوس.^{٢٥}

الكوروس: هل أصدر زوس — حسب قولك — هذا الأمر بواسطة الوحي: أن يأمر

أوريستيس الواقف هنا بأن ينتقم لمقتل والده، ولا يهتم إطلاقاً بالاحترام المفروض عليه

نحو والدته؟

أبولو: نعم، لأنهما لم يكونا متشابهين بحالٍ ما؛ مقتل رجل سامي المولد تقلد

صولجان سلطة موهوبة من الآلهة، وهو القتل الذي قامت به يد امرأة ليس بأسلحة

الشهامة، كالسهام المنطلقة من بعيد بواسطة إحدى الأمازونات، بل بالطريقة التي

ستسمعونها، بالاس وأنتم، يا من تجلسون هنا لتقررُوا بالتصويت عن هذه القضية

الحاضرة.

^{٢٤} خالية من جريمة الدم لأن دمها، هي نفسها، قد سُفك.

^{٢٥} قد تعتبر اليمين التي حلفها القضاة (٤٨٩) أوريستيس مذنباً بحسب الوقائع، غير أنه لما كانت فعلته

هذه قد تمت بناءً على أمر زوس، الذي يمثله ابنه، فإن زوس يتحمل كل مسئولية أدبية.

فعند عودته من الحرب التي شنّها تبعًا لمشيئة شعبه الذي يحبه، وأحرز له نصرًا أكثر مما كان متوقعًا،^{٢٦} رحبت به، ثم بينما كان يخطو من الحمام عند حافته بالضبط، وضعت ستارًا على الحمام بعباءة مقببة كالخيمة، ولفت زوجها في شركٍ من الأثواب الموشاة لا يمكنه الفكك منه، ثم ذبحته.

هكذا كانت طريقة قتله كما رويتها لكم؛ إنه بطل بالغ العظمة، وقائد الأسطول. أما عن تلك المرأة فقد وصفتها لكم هكذا لإثارة سخط الشعب الذي عُين للحكم في هذه القضية.

الكوروس: إذن، تبعًا لحجتك، يُعتبر زوس موت الأب أكبر إجرامًا. ومع ذلك، فهو نفسه قد قيد والده العجوز كرونوس Cronus،^{٢٧} فكيف تناقض هذه الفعلة حجتك؟ أرجوكم (تستدير نحو القضاة) أن تهتموا بهذه النقطة.

أبولو: أيتها الوحوش الممقوتة والمحتقرة لدى الآلهة! بوسع زوس أن يفك القيود، فلها علاج وعنده طرق كثيرة لحلها. ولكن إذا ما شرب الثرى دم إنسان مقتول، فلن ترجع إليه الحياة بعد ذلك. لم يجعل والدي أية تعاويذ لعلاج هذا الأمر، ولو أنه يقرب ويقيم كل ما عداه، متى أراد، ولا يكلفه استخدام قوته زفرة واحدة.

الكوروس: لاحظ الآن مغزى مرافعتك لإطلاق سراحه! هل يسكن من أراق دم أمه على الأرض بيت أبيه في أرجوس بعد ذلك؟ أية مذابح للعبادة العامة يمكنه دخولها؟ وأية أخوة^{٢٨} تقبله في طقوسها المطهرة؟

أبولو: سأهتم بهذا أنا أيضًا، وألاحظ شرعية ردي. ليست الأم والدة من يسمى طفلها، وما هي إلا مربية البذرة^{٢٩} المغروسة حديثًا. ومن وضع هذه البذرة فهو الوالد،

^{٢٦} المعنى الحرفي هو: «سلك أفضل» — «أفضل» أو «أكثر من خصومه الطرواديين» أو «فوق المتوقع» (إذ إنه كان مذبذبًا في قتل ابنته) أو «من الممكن» — أو «بدون أية قوة أكيدة تشبه تلك»، أو ببساطة «جيدًا». ^{٢٧} هو ساتورن عند الرومان. كان رب الحصاد في الأصل ويحكم العصر الذهبي في هذه الحياة الدنيا عندما كانت الأرض تعطي غلتها دون عناء للإنسان، وعندما كان السلام والعدل والبراءة تخيم على جميع أنحاء الأرض، كان من نتيجة الخلط بين الكلمة الإغريقية «خرونوس» أي «الوقت» أن أعتبر «كرونوس» شخصية تمثل الوقت.

^{٢٨} اندمج الأقارب، سواء أكانوا حقيقيين أو خياليين في أخوة ذات عبادة عامة وقرابين عامة وأعياد عامة. ^{٢٩} سادت هذه الفكرة في مصر (انظر ديودوروس الصقلي Diodorus Siculus ١؛ ٨٠، الذي كان مصدره هيكتاتايوس Hecataeus وهو أحد معاصري أيسخولوس الأكبر منه سنًا). وذكرت أيضًا في مؤلفات

بينما هي كالغريب للغريب لا تقوم إلا بحفظ ما يخرج من البذرة، إلا إذا أوقف الرب ولادتها. وسأقدم لك برهاناً أكيداً على ما أقول: قد تكون هناك أبوة بغير أمومة. لدينا هنا شاهد، وُلد زوس الأوليمبي، ولم يترَبَّ في ظلام الرحم، ولكنه كان طفلاً بالغ المجد بحيث لا يمكن أية ربة أن تلده.

أما من جهتي، يا بالاس، فكما هي الحال في كل شيء آخر أعرفه حق المعرفة، سأبهج مدينتك وشعبك بهذا الرجل؛ ولذا أرسلته متضرعاً إلى معبدك، كي يبرهن على وفائه في الزمن المستقبل كله، وكى تكسيبه، أيتها الربة كحليف جديد، هو وذريته، ويتقرر إلى الأبد. أن يتمسك نسل هذا الشعب بعهودهم إلى الأبد.

أثينا: هل لي أن أعتبر أن ما قيل يكفي، وهل لي أن أكلف هؤلاء القضاة الآن بأن يلقوا بأزلامهم الأمانة تبعاً لحكمهم الحقيقي؟

الكوروس: أما من جهتنا، فقد أطلقنا كل صاعقة، ومع ذلك، فسأبقى هنا لأسمع نتيجة المحاكمة.

أثينا: ولماذا لا تبقين؟ أما أنتما (لأبولو وأوريستيس) فكيف أتصرف لمنع الرقابة على أيديكما؟

أبولو: لقد سمعتم ما سمعتم. فبينما تلقون بأزلامكم، يا أصدقائي، اجعلوا قلوبكم تتمسك بقداسة اليمين التي حلفتموها.

أثينا: اسمعوا أوامرِي الآن، يا رجال أثيكا، يا من ستنطقون بالحكم في أول محاكمة عُقدت للنظر في سفك الدماء. ستظل هذه المحكمة لشعب أيجيوس Aegeus منذ الآن وإلى الأبد. وأما تل آريس هذا، الذي استخدمته الأمازونات مقرّاً لهن، وضربن فوقه فساطيطهن كلما أتين للقتال ضد ثيسيوس، وشيدن في تلك الأيام قلعتهن الجديدة ذات الأبراج الشاهقة لتتفوق على أبراجه، وقدمن الذبائح لآريس؛ ومن هنا أخذت الصخرة اسمها منه، تل آريس،^{٢٠} أقول فوق تل آريس هذا، ستقيم ربة «التبجيل» في مدائني هي

كثير من كتاب الإغريق اللاحقين لأيسخولوس، مثل يوربيديس، «أوريستيس» ٥٥٢، كسرة رقم ١٠٦٤، وكالفيثاغورين كما نقل عنهم ستوبايسوس (Stobaeus) (هنس Hense، الباب الثاني، ٧٢). وقد استُعيرت هذه الفقرة من المسرحية كدليل على أن الأثينيين كانوا يسرون في القرن الخامس ق.م. على النظام القديم في تتبع النسب بحسب الأم (حجة الإيرينوس)، بينما تتبع آخرون النسب بحسب الأب، وهذه نظرية أبولو. غزت الأمازونات، بصفتهن بنات آريس، أثيكا انتقاماً من ثيسيوس؛ إما كما تقول إحدى الروايات لأنه تزوج أنتيوبوي Antiope ملكتهن، أو لأنه لم يجعل ذلك التل ضمن مدينته التي أسسها حديثاً، والتي

وقربيتها «الخوف»، فيمنعان الناس من فعل الشرور، سواء أكان هذا بالنهار أو بالليل، كي لا يدنسوا القوانين بسوء استخدام النفوذ، ولا يلوثوا المياه الرائقة بالطين فلا تجد جرعة ماءٍ حلو.

لا فوضى ولا طغيان — أنصح سكان مدائني بهذا، وأوصيهم باحترامه وبألا يطردوا الخوف من المدينة فمن هو ذلك الشخص، بين البشر، الذي يلتزم العدالة فلا يخاف شيئاً؟ أخش مثل هذه العظمة يكن لديك حصن منيع للمحافظة على دولتك وحكومتك التي لم يسبق أن امتلك أحدٌ مثلها بين السكوثيين أو في مملكة بيلوبس. أثبت هذه المملكة الآن، التي لن يغريها حب الربح، والعظيمة، والسريعة في الانتقام، حارسة للبلاد، وساهرة على الدفاع عن ينامون.

هكذا أقيمت أخيراً، ناصحة لشعبي في الزمن المقبل، ولكن يجب أن تنهضوا الآن، فيأخذ كل واحد منكم زلة، وتقرر ما يتراءى لكم في هذه القضية بالتزامات قسمكم المقدس. وهكذا أكون قد أديت واجبي.

(ينهض القضاة من فوق مقاعدهم ويضعون أزمالهم واحداً واحداً في أثناء الفترة التالية.)

الكوروس: واسمعوا أيضاً! أنصحكم بالأجل تجلبوا العار علينا، نحن اللواتي بمقدور زيارتنا أن تستبد بأرضكم.

أبولو: أما أنا، فأمركم بأن تخافوا كل وحي، ليس وحيي فحسب — لأن كل وحي صادر من زوس — وألاً تعتبروه عديم الجدوى.

الكوروس: كلا، فإنك تحترم جرائم الدم بما يتعدى اختصاصك. إذن، فكل وحي ستصدره لن يكون وحيًا غير مدنس.

أبولو: وهل كان الأب مخطئاً في شيء عندما تقدم إليه إكسيون، أول سافك دم، كمتضرع للتطهير؟

الكوروس: يا لك من قوي الحجة! ولكني إذا عجزت عن كسب هذه القضية، زرت هذه البلاد، فيما بعد، كضيف ثقيل الوطأة.

تضم الأكرابول. ومن الجلي أن أيسخولوس رفض الأسطورة القائلة بأن تل آريس أخذ اسمه من واقعة محاكمة آريس هناك على قتل هاليروثيوس Halirrothius ابن بوسايدون، وتبرئته بأخذ أصوات الآلهة الذين كانوا قضاته.

أبولو: كلا، فليس له شرف بين الآلهة، صغيرها وكبيرها على حد سواء. سأحظى بالانتصار.

الكوروس: هكذا أيضًا كانت طريقة عملك في بيت فيريس Pheres عندما أثرت الأقدار لجعل البشر خالين من الموت.^{٣١}
أبولو: أليس من الصواب، إذن، أن نصادق مقدم النذور، قبل كل ما عداه، في وقت الحاجة؟

الكوروس: الحقيقة أنك أنت الذي خدعت بالخمير أولئك الربيات العتيقات، وبذا أبطلت ناموس من يكبرونك سنًا.
أبولو: ولكنك، بمجرد أن تخسري قضيتك ستفتنن سمك، أدنى لأعدائك.
(في تلك الأثناء ينتهي جمع الأصوات.)

الكوروس: بما أنك، أيها الشاب، سوف لا تعمل حسابًا لسني، فسأنتظر هنا حتى أسمع الحكم في هذه القضية إذ إنني ما زلت في شك مما إذا كان قد آن لي أن أصب جام غضبي على المدينة.
أثينا: ما مهمتي الآن سوى إصدار الحكم النهائي؛ وسأضيف صوتي هذا إلى صالح أوريسستيس. بما أنني لم أولد من أم، وأراني دائمًا في جانب الذكور بروحي في كل شيء ما خلا رباط الزواج، وفي جانب الأب تمامًا، فلن أهتم إطلاقًا بموت الزوجة التي قتلت سيدها، ذلك السيد الشرعي للبيت. وحتى لو تساوت الأصوات، فسيفوز أوريسستيس. أسرعوا، أخرجوا الأزلام من الأوعية، أيها المحلفون الذين عهد إليكم بهذه المهمة.
(تُفرغ الأزلام من الأواني وتفرز.)

أوريسستيس: أي فويبوس أبولو! أوَاه، ما عسى أن يكون الحكم؟

^{٣١} أجبر زوس أبولو؛ بسبب سفكه للدماء (تبعًا لأسطورة تنين دلفي، وتبعًا لأسطورة الكوكلوبيس Cyclopes) على التكفير عن ذلك بأن يخدم كعبد في بيت أدميتوس ابن فيريس. وتقول أسطورة قديمة اعتمدها أيسخولوس، إنه عندما جاء أجل أدميتوس، أراد أبولو أن يرد الجميل لأدميتوس نظير معاملته الحسنة له، فأسكر الأقدار بالخمير، وبذلك حصل على موافقتهم على تخليص أدميتوس من الموت على شرط أن يموت شخص آخر بدله. ويقول يوريبديدس في مسرحية «ألكيستيس Alcestis» إنه عندما رفض والد أدميتوس ووالدته أن يمنحاه ما بقي من حياتهما، ماتت زوجته ألكيستيس من أجله.

الكوروس: أي ربة الليل، يا أمنا الداجية، أترين هذا؟
أوريستيس: جاءت النهاية، فإما أن أحيأ أو أهلك شنقاً.
الكوروس: نعم، والخراب لنا، أو الاحتفاظ بكرامتنا منذ الآن.
أبولو: احصروا الأصوات بحق، يا أصدقائي، لقد جمعت الأزام، وبينما تقومون بتقسيمها، اهتموا بالأ تفعّلوا أي ظلم، فالخطأ في الحكم مصدر كثير من النكبات، وكم من زلم واحد أعاد الرفاهية لبيت!

(تقدّم الأزام لأثينا.)

أثينا: هذا الرجل بريء الساحة من تهمة القتل؛ إذ تساوت الأصوات.

(أبولو يختفي.)

أوريستيس: أي بالاس، يا منقذة بيتي! حرمت وطن آبائي فأعطيتني وطناً هناك ثانية، وسيقال في هيلاس: صار هذا الرجل أرجوسياً من جديد، وسيعيش في ميراثه عن أبيه بفضل بالاس ولوكسياس، وذلك الإله الثالث الكلي الترتيب، والمخلص؛ ذلك الذي اهتم بموت أبي وحفظني، إذ رأى لقضية أُمي محاميات كهؤلاء.
والآن سأنصرف إلى بيتي، أولاً إلى أرضك هذه وقومك، إذ تعهدت بقسمي للمستقبل في جميع الزمن الآتي، ألا يأتي رئيس من مملكتي إلى هنا لمحاربة^{٢٢} أهلها. فإنني، أنا نفسي، عندما أكون في قبري، وشن قوم الحرب، نفذت وعيدي بجر المصائب عليهم، حتى ولو استلزم الأمر أن أزورهم وأؤنس جيوشهم، وأملأ طرقاتهم بطوالح النحاس فيندم من كسر يميني هذه بأعماله. أما إذا ظل الطريق مستقيماً، واحترموا مدينة بالاس هذه إلى الأبد برماحهم المتحالفة، فسأقف إلى جانبهم.
وهكذا أودعكم؛ أنتم وشعبكم الذي يحرس مدينتكم. عسى ألا يسمح نضالكم مع أعدائكم بإفلات أي فرد، ويجلب لكم الأمن والظفر في الحرب.

(يخرج.)

^{٢٢} تشير هذه الفقرة إلى المعاهدة التي عُقدت بين مدينتي أثينا وأرجوس بعد نجاح كيمون بالتصويت العام (سنة ٤٦١ ق.م.) وإعلان بطلان المعاهدة التي كانت مع إسبرطة.

الكوروس: يا للعار! أيها الآلهة الأصغر سنًا، تخرقون القوانين القديمة، وتنتزعونهم من قبضتي!^{٢٣} وإذ حرمت الشرف، أنا التعيسة في غضبي الشديد على هذه البلاد (ولتصّبها النكبات)، فسأنفث سَمًّا من قلبي جزاء حزني. نعم، سَمًّا يتساقط قطرات لن تتحملها تربتها. وتصيبها آفة تنسف أوراق النبات، وتنسف الأطفال (أَوَاه! إنه مجرد انتقام!)، وأنشر العدوى المبيدة للجنس البشري. إنني أتأوّه بصوت مرتفع. ماذا أفعل، والناس يسخرون مني؟ ليس بالإمكان احتمال المظالم التي قاسيتها. نعم، قاسية حقًا هي المظالم التي أصابت بنات الليل، اللواتي جُردن من الشرف وحلت بهن الضائقات.

أثينا: اسمحنَ لي بالأ! أجعلكن تسمعن هذا الحكم في حزن لأنه ليس هزيمة لَكُنَّ، إذ كانت نتيجة المحاكمة بأزلام متساوية دون أن يلحقكُنَّ أي عار. بيد أن قرار زوس كان واضحًا. وذلك الذي نطق بنفسه بالوحي لن يناله ضرر من جراء فعله. ولن تصرن بعد الآن مقيتات، ولا تصيبن غضبكن الفظيع على هذه الأرض، ولا تزرنها بالجذب، بإنزال القطرات التي يلتهم مفعولها الحبوب. فإني أقطع على نفسي وعدًا بالغ القداسة، بأن تتبوان مقعدًا مرموقًا في أرض عادلة حيث تجلسن على عروش براقية، ويعبدكن أهل هذه البلاد بتوقير إذ يكون بمعابدكن مواقد خاصة.

الكوروس: يا للعار! أيها الآلهة الأصغر سنًا، تخرقون القوانين القديمة، وتنتزعونهم من قبضتي! وإذ حرمت الشرف، أنا التعيسة في غضبي الشديد على هذه البلاد (ولتصّبها النكبات) فسأنفث سَمًّا من قلبي جزاء حزني. نعم، سَمًّا يتساقط قطرات لن تتحملها تربتها. وتصيبها آفات تنسف أوراق النبات، وتنسف الأطفال (أَوَاه! إنه مجرد انتقام!)، وأنشر العدوى المبيدة للجنس البشري. إنني أتأوّه بصوت مرتفع. ماذا أفعل، والناس يسخرون مني؟ ليس بالإمكان احتمال المظالم التي قاسيتها. نعم، قاسية حقًا هي المظالم التي أصابت بنات الليل، اللواتي جُردن من الشرف وحلت بهن الضائقات.

أثينا: لم تتجردن من الشرف؛ فرغم كونكن ربات، فلا تنزلن بأرض البشر هذه آفة زراعية لا يجدي فيها علاج، متأثرات بغضبكن الشديد. إنني أيضًا أعتمد على زوس

^{٢٣} لكيلا يحدث تضارب بين المجازات، فرض أبريش Abresch ضياع سطر ربما ذكرت فيه بعض صفات أوريستيس، إذ يكون مفعولًا به للفعل الثاني. واعتقد فيرال Verrall أن المفعول به حذف للدلالة على مشاعر الإبرينويس.

— وهل من حاجة إلى أن أقول هذا؟ — وإنني، وأنا وحدي، دون سائر الآلهة، أعرف مفاتيح مخزن الأسلحة الذي يضع فيه صاعقته. إذن، فلا حاجة إلى ذلك. اخضعن إلى نصحي ولا تنطقن ألسنتكن بأي تهديد ضد هذه الأرض حتى يزدهر فيها كل ما يثمر. هدثن من سؤرة غضبكن الفظيخ طالما ستتسلمن أمجادًا تفخرن بها وستقمن معي وتحصلن على باكورة ثمرات هذه الأرض الواسعة — تقدمات من الأولاد وطقوس الزواج — وعندئذٍ تمتدحن مشورتني.

الكوروس: من العار أن أعامل هكذا! أنا المشهورة بالحكمة القديمة، أسكن تحت الأرض، وهذا يحط من قيمتي (يا للعار!) وأكون بغيضة! تضطرب روعي من أثر الهياج والثورة الجامحة، أوّاه! أوّاه، يا لشين هذا الأمر! أي ألم يتسلل إلى صدري! أوّاه، يا أماه، يا ربة الليل، أعيري أذنك لصيحة عاطفتي! يعتبرني الآلهة من سَقَطِ المتاع، فجردوني من أمجادي الخالدة بمكرهم الذي لا يُقاوم.

أثينا: سأتحمل حالة غضبك هذه؛ إذ إنك أكبر مني سنًا. ولا شك في أنك تفوقيني بحكمة في هذا الشأن. ومع ذلك فقد وهبني زوس فهماً غير قليل. أما أنتن، فإذا ما رحلتن إلى أرض تسكنها قبائل أخرى من البشر، أحببتن هذه الأرض — أحذركن من هذا قبل أن يحدث. فسيغدق الزمن على شعبي أمجادًا أعظم أثناء سيره المستمر. وأنتِ أيتها المتوجة بهيبة ووقارٍ في بيت إريخثيوس، ستنالين من حشود الرجال والنساء تمجيدًا أعظم مما أمكنك الفوز به من سائر العالم الآخر على هذه المملكة، مملكتي. أرجو ألا ترسلي أي باعث قوي لسفك الدماء يضر القلوب الغضة ويجننها بثورة ليست وليدة الخمر. ومع ذلك فسيمزق قلوب الديكة المتقاتلة، ويغرس في شعبي روح الحرب الداخلية في تهور متبادل. ليكن قتالهم مع أعداء أجانب لا حصر لهم من أجل ذلك الذي سيتحرّق شوقًا إلى الشهرة، ولكنني لن أهتم إطلاقًا بقتال الطيور.

ستكون مثل هذه النعم لك من أرضي تختارين منها ما تريدين، تمنحين الخير وتنالين الخير بشرف عظيم، فيكون لك نصيب في هذه الأرض التي يحبها الآلهة.

الكوروس: يا للعار، أن أعامل هكذا! أنا المشهورة بالحكمة القديمة، أسكن تحت الأرض، وهذا يحط من قدرتي (يا للعار!) وأكون بغيضة! تضطرب روعي من أثر الهياج والثورة الجامحة، أوّاه! أوّاه، يا لشين هذا الأمر! أي ألم يتسلل إلى صدري! أوّاه، يا أماه، يا ربة الليل، أعيري أذنك لصيحة عاطفتي! يعتبرني الآلهة من سَقَطِ المتاع، فجردوني من أمجادي الخالدة بمكرهم الذي لا يقاوم.

أثينا: كلا، لن أمل ذكر منحى لك، حتى لا تقولي إطلاقاً إنك الربة الكبرى سنّاً، قد أهنت أو أهملت بواسطتي أنا الربة الأصغر منك، وبواسطة حرس مدينتي من البشر. كلا! ولكنك لو احترمت عظمة سواسيون Suasion واعتبرتها مقدسة، تلك التي هي الترضية المهدئة وتعويدة لساني؛ لأمكن أن تقيمي هنا. أما إذا صممت على ألا تقيمي هنا، فمن الظلم الأكيد أن تجلبي على هذه المدينة أي نوعٍ من الغضب أو الهياج لإيذاء سكانها.

الكوروس: أيتها الملكة أثينا، أي نوعٍ من المسكن تقولين إنه سيكون لي؟

أثينا: مسكن خالٍ من أي ألم أو مضايقة، وقد قبلته.

الكوروس: تقولين إنني قبلته، وماذا ينتظرنى من المجد؟

أثينا: ألا يزدهر أي بيت بغيرك.

الكوروس: وهل تضمنين لي مثل هذه السلطة؟

أثينا: نعم، لأننا سنهب الازدهار لحظوظ مقدمي الذور لنا.

الكوروس: وهل تتعهدين بذلك طيلة الزمن المستقبل؟

أثينا: نعم، إذ لا حاجة بي إلى أن أقول شيئاً لا أستطيع إنجازه.

الكوروس: أعتقد أنك ستكسبينني بتعاويذك، فإن غضبي قد أخذ يفارقني.

أثينا: إذن فأقيمي في هذه الأرض، ترحبي بأصدقائك آخرين.

الكوروس: أية نعم تأمريني بأن أهبها لهذه الأرض؟

أثينا: نعم لا تأتي بنصر شرير. كما أطلب النعم من الأرض ومن مياه البحر ومن السماء، وأن تمر العواصف ذات الأنفاس، فوق الأرض، في نور شمسٍ ساطعة، حتى لا يفوت مواطني ازدهار الأرض والحيوانات الراعية المجتمعة في كثرة متزايدة، في زمن مستقبل. وهل لشعبي أن يكون تقيّاً، ذلك الشعب الذي تزيد في ازدهاره وكثرته. فمثل هذا الشعب المهتم بالنباتات النامية، جدير بأن يكون نسل هؤلاء الرجال العادلين (تشير إلى المتفرجين) الذين لا يسببون أية أضرار محزنة.

لك مثل هذه المنح لتهبيها، أما أنا فلن أخزي هذه المدينة بين البشر، هذه المدينة المنتصرة في المسابقات الماجدة للحرب القاتلة.

الكوروس: سأقبل وطناً أسكن فيه مع بالاس، ولن أزور بسوءٍ مدينة تعتبرها هي وزوس القادر على كل شيء وأريس حصناً للآلهة وحلية لامعة تحرس مذابح آلهة هيلاس، كما أصلي طالبة لها فتولاً مناسبة حتى تنمي عظمة الشمس الساطعة النباتات في الأرض وتدر خيرات تملأ الحياة سعادة.

أثينا: أفعل هكذا بقدر عظيم من المحبة لساكني مدينتي هؤلاء، فأضع بينهم هنا آلهة قوية الشكيمة تسيطر على جميع الكائنات الفانية. ومع ذلك فمن لا يجد هؤلاء الآلهة صارمين، فلن يعرف من أين تأتي ضربات الحياة، فسترتد ذنوب الآباء إلى صدره، وتصيب سهام الهلاك كلَّ من يفخر عاليًا. تنصب هذه عليه في سكون وغضب رهيب يجعله بمستوى التراب.

الكوروس: عسى ألاَّ تهبَّ ريحٌ ضارَّةٌ تحطم الأشجار — هكذا أقرر نعمتي — وعسى ألاَّ تمر بحدود جو هذه المدينة حرارة لافحة تدمر النباتات ذات البراعم، وعسى ألاَّ تقترب منها أية أمراض مميتة وآفات زراعية تقتل الثمار، وعسى أن تعمل الأرض على تربية القطعان المجتمعة فتزيد الضعف في الزمن المحدد، ويعطي إنتاج الأرض هدايا الآلهة من الربح السعيد.^{٣٤}

أثينا: أتسمعون يا حارسي مدينتي ماذا سيجلبن لكم من البركات؟ عظيمة هي قوة الإيرينيوس المبجلات نحو كلِّ من الآلهة العليا الخالدة، ونحو قوى العالم السفلي، وفي معاملاتهن مع البشر، فيقمن بما يرغبن في عمله علنًا وكاملًا، فيمنحن البعض الأغاني والبعض الآخر حياة تغشاها الدموع.

الكوروس: كما أنني ألعن مصير البسر المميت والسابق لأوانه. فيا من بيدكم القوة الشرعية، امنحوا العذارى الجميلات أن تعيش كلُّ منهن حتى تجد لها زوجًا. امنحنهن هذا، أيتها الأقدار المقدسات، يا أخواتنا من أم واحدة، أيتها الربات العادلات في مجازاتهن واللواتي لهن نصيب في كل بيت، وزيارتهم الشرعية محزنة في كل موسم، أيتها المبجلات في كل مكان بين الآلهة!

أثينا: يسرني وعدهن بتأكيد هذه الخيرات لأرضي بروح الود، كما أشكر سواسيون إذ تسهر لحظاتها على مراقبة لساني وشففتي عندما وجدت منها رفضًا عنيدًا. بيد أن زوس المتسلط على السنة البشر^{٣٥} قد انتصر، وستنتصر منافستنا هذه في صنع الخير إلى الأبد.

^{٣٤} كانت هذه الهدايا من المعادن الثمينة (اهتم الأثينيون بالفضة بنوع خاص) وكانوا يحصلون على هذه المعادن تبعًا للحظ، وكان هيرميس هو إله المستخرجات بالحظ.

^{٣٥} يشرف زوس على اجتماعات المواطنين، ويوجه الكلام الذي ينطق به رجال الحكومة.

الكوروس: عسى الشغب الذي لا يكفُّ عن فعل الشرور، ألا يرفع قط صوته عاليًا داخل المدينة، أرجو هذا؛ وعسى ألا يشرب الثرى دم أهلها الأسود، ويقوم عن طريق العاطفة بالقتل المخرب انتقامًا؛ لتدمير الدولة.^{٣٦} وبدلاً من هذا، عساهم يردون على الفرح بالفرح بروح الود المتبادل، ويمقتون برأي واحد؛ إذ في هذا شفاء لكثير من شرور العالم. **أثينا:** ألا يزمعون، إذن، أن يوجدوا طريقًا للسان الرحيم؟ يمكنني أن أتكهن، من هذه الوجوه المفزعة، بأن ربحًا عظيمًا ينتظر مواطني هؤلاء. وإذا قدمتم لهن عبادة بالغة السمو، برقة كما هن رقيقات، فلا شك في أنكم تتفوقون، فتقودون أرضكم ومدينتكم في طريق العدالة المستقيم.

الكوروس: ازدهروا وسط الثروة التي يضمنها لكم القدر. ازدهروا تمامًا، يا أهل المدينة، يا من تتبوعون مقاعد عالية أمام زوس، يا من تحبكم العذراء المحبوبة، وتتعلمون طريق الحكمة أخيرًا، وتكمنون تحت جناحي بالاس، فإن الأب يضعكم موضع التبجيل. **أثينا:** وداعًا أيضًا. ولكن يجب أن أقود الطريق لشهر مساكنكن بضوء هؤلاء، رفقائكن.^{٣٧} انصرفن الآن بسرعة إلى تحت الأرض بهذه الذبائح المقدسة وأوقفن كل ما هو ضارًّا بمملكتنا، وأرسلن كل ما يفيدها ليحرز لها النصر! أيا أولاد كراناوس^{٣٨} يا من تقبضون على زمام هذه المدينة، افتحوا الطريق أمام هؤلاء الساكنات الجدييات. وعسى أن يتمتع المواطنون بالشهرة الطيبة لقاء الخير المقدم لهم! **الكوروس:** وداعًا، وداعًا للمرة الثانية أكرر هذا لجميعكم يا من في هذه المدينة، الآلهة والبشر على حد سواء، يا ساكني مدينة بالاس. أظهروا الاحترام اللازم لإقامتي بينكم. وسوف لا تجدون سببًا تلمون عليه حظكم في الحياة.

^{٣٦} تعبير الفكرة «الأخذ بالتأثر في حرب أهلية» معقد، وكذلك العلاقة النحوية. والمعنى الأصح هو «يمسك بجشع (كما يمسك الحيوان المفترس فريسته) بالمصائب» — الخاصة بالانتقام — إلى الدولة — مصائب تُراق فيها الدماء نظير الدماء.

^{٣٧} يذهب الكوروس الآن إلى المغارة التي بأسفل تل أريس مقر عبادة الربات الموقرات، اللائي يعبر عنهن الشاعر هنا بالإيرينويس والربات الغاضبات والأرواح المنتقمة. ويبدو أن هذا التعبير يشمل أيضًا اليومينديس أو الآلهة الشفيقة التي عُبِدت في سيكوعون بمدينة أرجوس، وفي أتিকা بمدينةنتي فلوا Phlya وكولونوس (انظر مسرحية «أوديبيوس في كولونوس» لسوفوكليس). يتكون الموكب من أثينا في المقدمة فالكوروس فأعضاء الأريوباجوس فحامي المشاعر فحارسات البالاديوم وغيرهن وأخيرًا الشعب الأثيني.

^{٣٨} كان كراناوس هو المؤسس الأسطوري لـ «المدينة الصخرية»، وهذا هو اسم مدينة أثينا المفضل.

أثينا: تروقني أفاظ توسلكن، وسأرافقكن الآن في ضوء المشاعل المتألقة إلى وطنكن تحت الأرض، وستقوم حارسات تمثالي على خدمتكن، لأن بلاد ثيسوس كلها ستأتي في موكب عظيم، العذارى والسيدات وجمع من النساء العجائز. يرتدي هؤلاء ثياب الأعياد القرمزية، وليتحرك ضوء المشاعل إلى الأمام، وليتحرك وطيسي قدمًا، وليتحرك إلى الأمام وهج المشاعل؛ حتى يتخذ التصرف الرقيق لجماعة الزائرات حضوره منذ الآن بالخيرات جالبة الرخاء لأبنائها.

(كوروس موكب الحرس.)

اذهبن في طريقكن إلى مساكنكن، يا بنات الليل، يا بنات رغم شيخوختكن، يا عاشقات الشرف بالحراسة الطيبة ...

الزموا الصمت! ولتكن أفاظكم رقيقة، أيها الساكنون في الأرض!
تحت كهوف الأرض الطبيعية المقسمة بالمجد السامي للعبادة والقرايين ...
الزموا الصمت! ولتكن أفاظكم رقيقة، يا جميع القوم!
هيا إلى هنا، أيتها الربات الموقرات، أيتها المباركات والرحيمات بهذه البلاد، اذهبن بضوء المشاعل المغذاة باللهب، مبهجات في أثناء مسيركن.

أطلقن صيحة فرح صدّي لأغنيتنا!

نرجو أن يسود السلام، في الزمن المستقبل، بين مواطني مدينة بالاس وبين اللواتي أتين للإقامة فيها. لا بد أن زوس الذي يرى كل شيء، هو والقدر قد مدّا يد المساعدة للوصول إلى هذه النتيجة.

أطلقن صيحة فرح صدّي لأغنيتنا!

(يخرج الجميع.)

